RUSHDI

ABTAL AL-ISLAM FI AL-HARB

WA-AL-SIYASAH

2274
.718
.311

2274.718.311
Rushdī
Abtāl al-Islām fī al-harb
wa-al-siyāsah

DATE

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 074498054

أبطال الإسلام
في الحرب والسياسة

تأليف

زكي أحمد شنب

« منشيء مجلة الرشديات »

ومؤلف كتب علم الاجتماع والتربية الوطنية ومبادىء الفلسفة الخ.

الجزء الاول — الطبعة الثانية

١٣٤٦ - ١٩٢٨

طبع بمطبعة الرشديات بشارع نوبار نمرة ١٨ بالاسكندريه

Rushdī, Zakariyā Aḥmad

Abṭāl al-Islām

أبطال الإسلام
في الحرب والسياسة

تأليف

زكريا أحمد رشدي

﴿ منشيء ومحرر جريدة الرشديات ﴾

ومؤلف

كتب علم الاجتماع ومبادىء الفلسفة والتربية الوطنية الخ .

الطبعة الثانية

١٣٤٦ - ١٩٢٨

مطبعة الرشديات بالإسكندرية

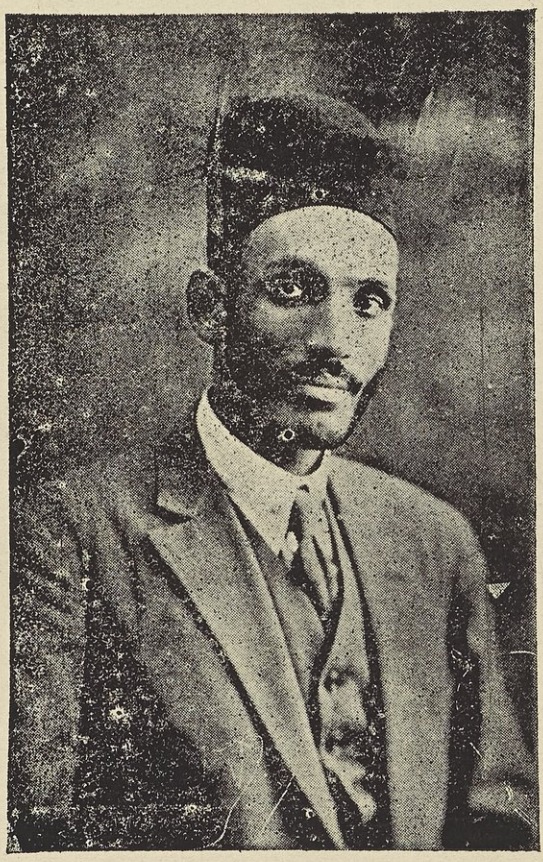

المؤلف

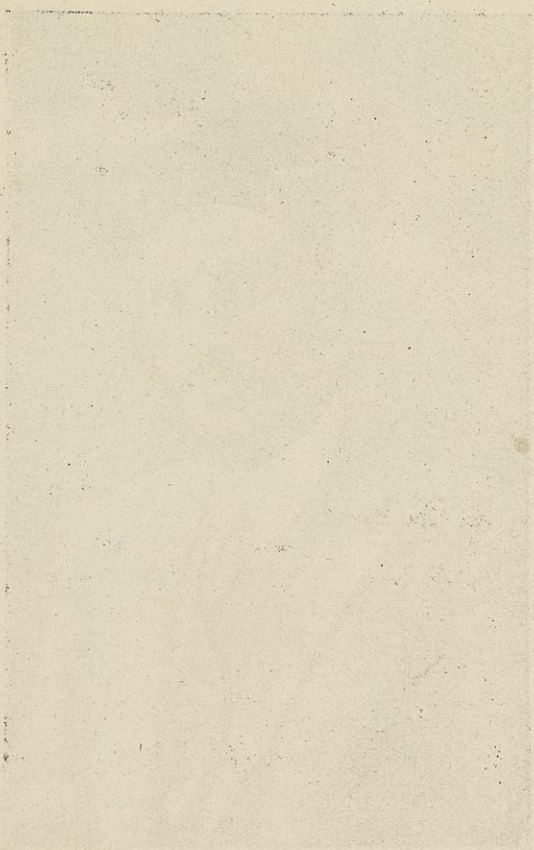

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الطبعة الثانية

هب الشرق من رقاده ، وسعى حكماؤه وامراؤه وحكامه يقودونه الى تجديد مجده وشبابه ، والنهوض به من غفوة الماضى القريب الى مستقبل مجيد تعود فيه الى الامم الاسلامية قوتها ونضارة مدنيتها . وتظهر فيها من جديد المبادىء العمرانية القويمة التي جاء بها الرسول الامين ، تلك المبادى والتعاليم التى علت بالامة العربية في عصرها الزاهر الى عليين .

واذا كانت الامم الغربية القابضة على ناصية المدنية في هذا العصر ترى ان من أهم الوسائل لحفظ مجدها وبقاء سلطانها وتثبيت دعائم ملكها وحضارتها تلقين الابناء والاحفاد تاريخ ابطالهم وسير عظمائهم لتسري فى نفوس الاجيال المقبلة روح البطولة وتمتزج بنفوسهم محبة العظمة والاعمال المجيدة وأخذت تلك الامم تقيم على قارعة الطرق وفى الميادين العامة النصب لهؤلاء العظماء وتشيد بأسمائهم المدارس والملاجىء والمستوصفات ليكون ذلك أدعى الى بث البطولة فى النفوس .. فهل ليس أحرى بنا وقد تقادم العهد على مدنيتنا وطوى التاريخ حضارتنا . ان نشيد بذكرى عظمائنا فننشر فى الافاق تواريخ مشاهير رجالنا لعلنا بذلك نبعث من صحف التاريخ وبطون الاجيال الغابرة روحا من العظمة والاباء تسري في نفوس ابنائنا وتسير بها فى طريق العمران

(RECAP) 2274 .718 311

المؤدى الي عظمة الامم الاسلامية واقامة صرح مجدها وشامخ مدنيتها .؟؟

يلي خليق برجال الاسلام اليوم وحكامه ان يعضدوا النهضة المؤدية الي بث البطولة فى النفوس وتلقين مبادىء الاسلام الصحيحة فى رؤوس الناشئين وتقرير درس عظماء الاسلام ومشاهير رجاله في المعاهد والمدارس ، سيما وان التاريخ الاسلامى غني برجاله العظماء الذين اسسوا الدولة الاسلامية التي اظلت فروعها فارس والترك والصين والمغرب الاقصى وأوروبا والروم . فاذا ردد الغربيون ذكر عظمائهم امثال هنبال ونابليون وغيرهما فليس اقل من ان نقارن بين رجالنا ورجالهم قتري البون شاسعاً. فأين هنبال من موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، الذين اتيا من اقصى بلاد العرب الي اقصى المغرب فدوخا ممالك هنبال القديمة في افريقيا الشمالية وقطعا بجندهما القليل البالغ إثني عشر الف مقاتل مضيق سبتة الي اقمارة الاوروبية فغنما مملكة الاندلس وقضيا علي دولة القوط بالدمار .

واين نابليون الذى ضربت به الامثال وعده الاوروبيون من اشهر القواد في العالم لحروب طويلة اصلاهم نارها واذاقهم شدة اوارها لم تأت لدولته بفتح جديد من قتيبة بن مسلم فاتح الهند وتركستان .

أن عزة الامم وشرفها الرفيع لن تقوم لها قائمة الا اذا كانت الابناء حفيظة بتاريخ ابائها المجيد، وتاريخ بلادها واسلافها. وأن كان لامة أن تفخر بتاريخ اجدادها فليس فى صحف التاريخ الانساني ازهر صفحات من تاريخ الامة الاسلامية ، التي قام عظماؤها وخلفاؤها وقوادها بالمثل العليا في اقامة العدل والانصاف ، ورعاية الانسانية ، وحسن الكياسة ، اذا ذكرت الحرب والسياسة .

فهنالك قامت مدنية على تعاليم اجتماعية متينة واخلاق قويمة ، دعى اليها الدين الحنيف . احرى بالناشئة الاسلامية الحديثة درسه والتغذي بلبانه فهذا أصون لكرامتهم وكرامة أمتهم من الفخار بما للغرب من مدنية وآثار

وهذه الطبعة الثانية من كتاب (ابطال الاسلام فى الحرب والسياسة) اقدمها لجميع الامم الاسلامية وقد دب الشغف بالعلياء فى الصغير والكبير وبدأت ملوك المسلمين تعمل بالحزم في الامور لرفعة امهـا ولتنقذ البلاد الاسلامية من مواطن الضعف وشباك الاستعباد .

ولعمري ليس من دافع يدفعنا الى مانريد من حرية حقة وحياة جديه اقوي من درس تاريخ الحرية ومؤسسي الحياة الاستقلالية قبل ان تعلن في فرنسا الجمهورية وتقرر حقوق الانسان ؟

المؤلف

زكريا احمد رشدي

٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٧

مقدمة

الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

تتطور الامم والشعوب ، وتتغير أحوالها وتتقلب شؤونها فيعلو بعضها افق السعادة ويتدهور البعض الى الحضيض الاسفل .

أن الامم تسعد وتشقى كالافراد فأذا ماسعدت الامة أرسل لها من بنيها الاذكياء من يبعث فيها روح الحياه فيحرك ساكنها ويلين جامدها ويحشر من الموتي احياء ليقودهم الي العمل فلا يلبث الشعب حتي تراه شعباً راقياً ، واذا ماشقيت الامة تسرب بين افرادها الجبن وامتزج بدمهم الكسل فلا يخطر ببالهم الوطن ولا يفكرون في إنتشاله من وهدة الانحطاط ، بل يستسلمون للطوارىء والنوازل حتي تنخر قواه

من ذلك يعلم أن سر رفعة الامم وتقدمها خطوات في سبيل الحياة والرقي هم إفرادها العاملون الذين يقفون حياتهم لخدمة أوطانهم والذين يجاهدون في سبيل سعادتها والذين يحدثون الانقلابات التى يسطرها التاريخ بمداد الفخر والاعجاب ويتلوها على الامم جيلا بعد جيل تخليداً لاسمائهم وتعظيما لذكرياتهم .

ترى الفذ من أولئك الافراد لايعرف المستحيل ولا يتصور شيئاً بعيداً عن إرادته ويرى أن الدنيا بحذافيرها تتقاد لمن إرادأن ينال السعادة التى يعلم انها حق طبعى من حقوق الحياة .

أولئك الافذاذ هم الابطال الذين يهبون أمتهم السيادة ويبعثون بيطولتهم مافي القبور من عزة وعلياء فينشرون العلوم والمعارف ويقومون الاخلاق ويصلحون مافسد من العادات ويحاربون جراثيم الفساد ويقطعون دابر الخمول وحين ذاك تقوي دولة العلم على دولة الجهل وتنصر الاخلاق العالية علي الجمود فتقوى الامة ويشتد ساعدها وتخرج من أبنائها الغزاة الفاتحين فيملكون ماشاؤوا من البلدان وينشرون نفوذهم شرقا وغربا أولئك هم الابطال الذين يرفعون ذكر أممهم وشعوبهم ويبيضون صفحات تاريخه ، يتلو علينا التاريخ قصص أولئك الابطال وأعمالهم وما أوتوا من الذكاء والفطنة وما نالوا من عز ومجد فنتشبع بمبادئهم ونكتسب من آرائهم . . وإنه لتبث في الارواح البطولة ولتطمح الانفس الى الضرب فى درب أولئك الابطال والاقدام ألي جلائل الاعمال .

انا لنسرد على القراء فى هذا الكتاب تاريخ أبطال الاسلام وحسب القاريء ما جرى علي أيديهم من الاعمال التى خلدت لهم ذكرى مكللة بالاعجاب ومقرونة بالفخر حتي تشرئب نفوس أهل الغيرة إلى اقتفاء أثرهم والسعى وراء البطولة فيعملون علي مكانتهم ويكتسبون من هذا المدرس الكبير والاستاذ العظيم (التاريخ) تجارب طالما أتعبت الاولين وآلمت حواسهم حتي وصلوا اليها وعظات من هذه الذكريات فتخرج منها أشعة تتسلط على القلوب فتوحى الى ذويها أن أسعوا الي تخليد ذكري لكم قبل أن يأتي أحدكم يوم تسكت فيه أنفاسه وتخمد حواسه ويمحى أثره وكأنه لم تشرق عليه شمس

إلا أن البطولة من الغايات التي يجب علي كل ذي شعور راق ونفس عاليه ووجدان حى أن تصبوا اليها نفسه ويسلك سبل الابطال ليخدم امته

وقوميته ، وما البطولة الا انتهاز الفرص للعمل وشغل اللحظات بما يفيد وصرف العمر في خدمة الهيئة الاجتماعية . وما الابطال إلا من البشر تحصنوا بالعزم القوي وعلموا أن الحياة الخالية من الاخطار موت وأن الوقت الذى يمضي دون اكتساب فخر ليس من أجل صاحبه .

الا فها هو تاريخ أبطال الاسلام يتلو من آيات البطوله ما يدهش العقول ويبث فى النفوس روح الشهامة . وضعته لقراء اللغة العربية خدمة للتاريخ نسأل الله أن يلهم الشرقيين رشداً ويمنحهم روحاً متقدة

ويحيون مجد الشرق بعد وفاته فيغدو عليا زهره يترعرع

المؤلف

زكريا أحمد رشدي

يونيه سنة ١٩١٤

حالة العالم الانسانى

قبل ظهور الاسلام

كيف ظهر الاسلام فجأة في القرن السادس ميلادى ؟ وهل كانت هناك حاجة الى الدين الذي بعث به الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ سؤال هام يجول في خواطر عشاق الحقائق التاريخية والعاملين علي درس الانقلابات الاجتماعية لذلك أري بسط الاجابة عن هذا السؤال قبل البدء في تاريخ ابطال الاسلام ولم تكن الاجابة التى أبسطها إلا إجابة علامة فرنسى من منصفى المستشرقين بحث بها هذا الموضوع وأجاب عنه بجرأة العليم الواثق من الحقائق .

قال ذلك العلامة (جول لا بوم) فى مقدمته لترجمة القرآن الحكيم الى الفرنسية

حوالي ميلاد (محمد عليه الصلاة والسلام) في القرن السادس ميلادى كان جو العالم ملبداً بغيوم الاضطرابات فكان

١ — في شعب الوزيغو (الآريين) في اسبانيا وفرنسا الجنوبية يحاربون الملك كلاميس وأولاده الكاثوليكيين وكانوا يطلبون مساعدة امبراطور مملكة الرومان الشرقية

٢ — وفي فرنسا كان أولاد (كلومنيس) فى شقاق متشافكين وكانت الحرب التي شبت نيرانها بين المملكة الوزيغونية (برنهو) والمملكة (فريد يحوز) تهيء للتاريخ أشد الصحائف اثارة للاسى والكمد

٣ — وفى انجلترا كان الحرب سجال بين الانجلو والسكسون

٤ — وفي ايطاليا فقد اسم الرومان خطورته القديمة وكانت رومة هى البقية الاخيرة أو رأس ذلك التمثال المتهشم (مملكة الرومان) وهى

فى حاله تململ ترتج وتضطرب كلما ألم بها طائف من ذكر عظمتها القديمة

٥ — واليونان كانت تابعة لمملكة الرومان الشرقية وكان شرق أوروبا مقلقاً جنوبها من أول مصب نهر الران من جهة الغرب لغاية مصب نهر الدانوب

٦ — لم تكن آسيا أهدأ بالا من أوربا فقد كانت بلاد التبت والهند التي اقتبست منها الامم السائدة فى أوربا للآن قرائحها وأفكارها العامة ولغاتها السياسية والفلسفية كانت متمزقة الاحشاء بالحروب الداخلية

٧ — مملكة الفرس كانت دائماً فى حروب مع اليونان والرومان لارتباطها بالغرب منذ عهد الاسكندر المكدوني

٨ كان شمال افريقيا فريسة لاخلاط من عساكر الرومان واليونانيين وبعض التجار وجماعة الحكام الذين نزحوا اليها من جهات مختلفة وكلهم يعمل علي امتصاص خيراتها ينزلون بأهلها كل ظلم واعتساف .

ومع هذا كله كانت هناك ناحية من أركان الارض لم تصبها نقمة من هذه الحركة لموقعها الجغرافي البعيد ذلك الركن هى شبه جزيرة العرب .

من هذا ترى أن العالم الانساني كان ملبد السحب بالاضطرابات والحروب والنزعات الوحشية فى كل جهة وكان اتحاد الناس علي وسائل الشر اكثر من اتحادهم علي وسائل الخير . وهو بهذه الحالة فى حاجة الى حادث جلل يزعج الناس عن مظالمهم واضطرابهم ويضطرهم الي النظر والتفكير في أمر الخروج من المأزق الذى تورطوا فيه

فجاء الاسلام وأحدث هذه النتيجة المطلوبة بما أقام من الدول

وأسقط من ممالك وأصل من أصول وهدم من تقاليد فزعزع أركان دولتي الرومان والفرس وهما دولتا العالم اذ ذاك واستتبع تزعزعهما ضعف سري في جميع الشعوب القلقة المتعطشة للحياة الهادئة التي اطمأنت لها في تعاليم الدين الاسلامى فتخلصت من نير استعبادهما وكانت الرسالة المحمدية هى النور الآلهى الذي بدد ظلمات الاستعباد من الشعوب وانقذ الانسانية من ظلم الجاهلية الاولي وفي ذلك نزلت الآية الحكيمة (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)

المبادئ
الاجتماعية الخطيرة
التى قامت عليها الدول الاسلامية

بقى علينا بعد أن ظهرت لنا حقيقة العالم الانساني ابان ظهور الرسالة المحمدية أن نستقري، تعاليم هذه الرسالة والمبادىء التي ناهضت ظلمات الاستعباد وكسرت قيود الاسترقاق واطلقت الانسانية من ظلمات الهمجية الاولى

والمطلع علي التاريخ القديم للشعوب الانسانية يري ظاهرة غريبة فى كل عصر من عصورها المختلفة . وهذه الظاهرة بارزة فى عدم المساواة بين أفراد الامة وتقسيمها إلى أشراف ورعاع وكهنة وحكام وتأليه بعض الناس على بعض واحتكار العلم والدين لطائفة دون أخري

وكانت هذه الظاهرة داعية الى بذر بذور النفور والشقاق بين طبقات الامة الواحدة والشعب الواحد وناهيك ما وراء تمليك السيادة لطائفة ووضع الطوائف الاخري موضع الذلة والاسترقاق :

فلما جاء الاسلام هدم كل هذه التقاليد ونبه العقل الانساني الي حقائق الوجود ونزع مافي النفوس من أوهام وبث فى الناس المباديء القويمة التى تقوم بالجماعات الانسانية الي سبل الرقي والطمأنينة وتنحصر هذه التعاليم فيما يأتي : ـ

١ ـ التخليص بين الانسان وخالقه . فقال تعالي « وإذا سألك

عبادى عني فاني قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي

٢ ـ المساواة العامة بين جميع الناس لانهم من أب واحد وام واحدة قال تعالى « ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم »

٣ ـ تقدير الحكومة الشورية مبدأ للحكم بين الناس . فقال جل شأنه « وأمرهم شوري بينهم » وفى الحديث الدين النصيحة . قالوا لمن يارسول الله قال لله ولرسوله وللمؤمنين عامتهم وخاصتهم . ويدخل فى ذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . مما يحرض المسلم على مراقبة الحكومة وحق مناقشة أولي الامر

٤ ـ الاعتراف بحقوق العقل وحرية الفكر قال تعالى عن لسان الكافرين « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » وقال « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » وفي الحديث « الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له » والآية « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا »

٥ ـ المؤاخاة بين الدين والمدنية قال تعالي « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » وقال « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة » « وقيل للذين آمنوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين »

٦ ـ وجوب طلب العلم والازدياد منه . « وقل رب زدني علما

والحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .

٧ ـ الدين شرع للناس ليطهر الناس من الشهوات البهيمية ويطلق لهم فى ما عدا ذلك الحرية قال تعالى « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم »

٨ ـ الاعتماد على النظر في السماء والارض والنفس والكائنات لاستنباط العلوم والمعارف والوقوف علي سنة الله فى خلقه فقال تعالى (انظروا ماذا في السموات والارض.) وقال (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وقال « إفلا ينظرون الي الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت» الخ

٩ ـ توحيد العالم في دائرة المعاملات ومنع الفوارق الجنسية فقال تعالي (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) وقال نزعا لروح التحزب والتعصب (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)

١٠ ـ السعادة الاخروية . متوقفة على عمل الانسان . قال تعالى (لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ـ كل نفس بما كسبت رهينة)

هذه هي المبادىء القويمة التي قامت عليها الدولة الاسلامية والتى جاء بها دين الرسول الامين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فهل الامم الاسلامية اليوم تقوم بهذه التعاليم ؟؟ ومتى يتمكن حكام المسلمين وأمرائهم وملوكهم من اعادة الامة الي دينها لتحتضن تلك المبادى السليمة وليحفظ المسلمون مركزاً عالياً بين أمم العالم المتحضر !!.

ابو بكر الصديق

ما أحوج الاغنياء وذوي الرأى فى الامم الاسلامية من العلماء والامراء والحكام الي تحليل نفسية (أبي بكر الصديق) رضى الله عنه ، واتخاذه مثلا أعلا يحتذون به اذا ضل بهم الرأي او تنكبت بهم المسالك عن طريق الهدي. أو إذا تعارضت عندهم المصلحة الشخصية مع المصلحة العامة . . . فقد كانت له إرادة حديدية وروحا جبارة في التضحية لا تلين قناتها ولا تنهزم قوتها اذا شاء كان ما شاء . لا يرحم المترددين والمتخلفين عن طاعة الرأى المشروع . أقول ماأحوج الامم الاسلامية ودعاة الاصلاح فيها الى درس نفسية ابي بكر وأخلاقه وأحواله ففيها رسم خطط العمل المنتج لانقاذها مما تورطت فيه من التهاون والانحطاط.

والى جمهور المسلمين نسطر ما حفظه التاريخ لاول خليفة في الاسلام.

حاله فى الجاهلية

(اسمه) ـ كان اسمه فى الجاهية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وسمى صديقاً لانه بادر الى تصديق الرسول الامين

(شرفه) ـ ينسب أبو بكر الى (تميم) وهذا الرهط ممن انتهى اليهم الشرف فى قريش وكانت اليه تنتهى الاشنان وهى الديات فكان

اذا احتمل أمراً فسأل فيه قريشاً صدقوه وامضوا حمالة من نهض معه . وان احتملها غيره خذلوه

(صناعته)ـ كان أشراف قريش مع ما لهم من علو المكانة بين قومهم وهم حراس الكعبة وحماة البيت وضريح اسماعيل لا يرون الاتكال على فضلات العجز والاعتماد علي تراث الاباء فكانت لكل رجل منهم صناعة يحترف بها فكانوا يعيشون من كسبهم وكان أبو بكر من هؤلاء الاشراف الذين يرون العار والمذلة في الانصراف عن العمل اعتماداً علي ما ورثوا فكان بزازاً وله رأس مال كبير للتجارة قيل أنه كان يبلغ اربعين الف درهم انفق منها خمسة وثلاثين الف معونة للدعاية الاسلامية وفى سبيل مصلحة المسلمين وما بقى ما زال يتجر به حتى وافاه الاجل .

(مكانته عند قومه) ـ كانت له شخصية بارزة محترما بين قومه معروفا بينهم بجليل الشيم وقال فيه ابن الدغنة يوما (انك تصل الرحم وتصدق الحديث وتكسب المعدوم وتعين علي نوائب الدهر . وتقري الضيف) وكان رغابا عن الدنايا عفيف النفس حرم علي نفسه شرب الخمر فى الجاهلية

اسلامه وصحبته

ان لجوهر النفس ونقاء معدن الانسان دخل في اتجاه نزعاته الي الخير أو الشر فكلما كان صافي الجوهر سليم الفطرة طاهر النفس كان سريع التأثر بالدعوة الصالحة منقاداً اليها . وكان هذا حال ابي

بكر رضي الله عنه حين دعى الى الاسلام فكان أول من أسلم من الرجال لانه لم تألفه شوائب العناد فأسلم وطلق الاوثان ورضي الاسلام ديناً وعاهد الرسول الامين علي مظاهرته ومناصرته فكان وفياً بعهده

وكان لاسلامه صدي فى نوادي عظماء قريش فأسلم علي يديه كثيرون منهم عثمان بن عفان وسعيد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله .

المال والنفس ـ وقد ضرب ابو بكر لمن يأتي بعده من القرون خير مثل للتضحية في سبيل الفكرة الصالحة والمبدأ وفتح طريق القدوة الحسنة للزعماء والعظماء ليقتدى بهم الاتباع .

نزل أبو بكر الصديق عن ماله للمسلمين . فكان يشترى المعذبين لاسلامهم وينقذهم من الآلام وكان يعتق على الاسلام النساء العجائز لا يريد الا الله ونصرة الدين .وكان بهذا العمل اول من فتح باب التضحية وانكار الذات فى سبيل الله ونصرة دينه . لسان حاله أسرع من مقاله . هذا شأنه في ماله

أما نفسه فقد وضعها في كفه ولازم الرسول عليه الصلاة والسلام فى مواقفه وحروبه ليحميه بنفسه من الاعداء وفى يوم بدر اقام الصحابة للنبي عليه السلام عريشاً وقالوا من يكن مع رسول الله لئلا يهوي اليه أحد من المشركين فما دنا منهم أحد الا ابا بكر وكان بينهم علي بن ابي طالب وغيره من شجعان المسلمين ـ وتقدم ابو بكر شاهراً السيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي اليه أحد الا هوي اليه وبذلك ـ قدم نفسه وماله

خلافة أبي بكر

لم تكن الخلافة في الاسلام وراثية لانفصالها عن النبوة التي انتهت بوفاة النبي ﷺ . لانه بلغ رسالة ربه وبين الاحكام الي الامة ولم تكن للخلافة من بعده الا حماية الشريعة وأقامة العدل بين الناس بما أنزل الله في كتابه . واشترط جمهور المسلمين فى الخليفة الحرية والعقل والعدالة والعلم ولم يشترط اتصال الانساب بصاحب النبوة

ولما توفى النبي ﷺ كان ابو بكر غائباً فى أهله فلما أتاه منعاه أقبل على الناس فوجدهم في اختباط عظيم وصار المسلمين كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية فمنهم المصدق ومنهم المكذب . فمن قائل لو لو كان نبياً ما مات ومنهم من قال انقضت النبوة بموته ومنهم من قال نؤمن بالله ونصلي ولا ندفع زكاة الى غير ذلك من الاضطراب الذى أصاب العرب بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام .

ولكن رباطة جأش أبي بكر كانت هى البلسم لهذه الاضطرابات فدخل على النبي ﷺ فكشف عن وجهه وقبله . وقال (بأبي أنت وأمى قد ذقت الموتة التى كتب الله عليك ولن يصيبك بعدها موتة أبداً) ثم خرج الى الناس فحمد الله واثني عليه وقال

(أيها الناس من كان يعبد محمداً فأن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فأن الله حى لا يموت) . ثم تلا قوله تعالي (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية .

فكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية فى القرآن لما إصابهم من الدهشة بوفاة النبي ﷺ . أما عمر فوقع فى الارض مغشياً عليه حين

سمع أبا بكر يتلو هذه الآية

وبينما الناس في شغل بوفاة النبي ﷺ وتجهيزه ودفنه جاء مخبر فأخبرهم باجتماع الانصار فى سقيفة بني ساعدة للنظر فى شأن الخلافة ، فأسرع اليهم ابو بكر وعمر وجماعة من المهاجرين ليتداركوا الامر قبل افتراق الكلمة . فأتوا الانصار وقد اجتمعوا يبايعون سعد بن عبادة فوقف أبو بكر موقفاً حازماً وتكلم ومما قال يومئذ

(يا معشر الانصار انكم لا تذكرون فضلا الا وأنتم له أهل وأن العرب لاتعرف هذا الامر الا لقريش هم اوسط العرب داراً ونسباً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدي عمر بن الخطاب وابي عبيدة الجراح فكثر اللغط بين الانصار وقال قائلهم منا أمير ومنكم أمير وبرز عمر بن الخطاب حين رأى من بعض المهاجرين موافقته علي أن تكون الخلافة فى قريش وخشى من تأجيل النظر فيها فقام الى ابي بكر وقال ابسط يدك أبايعك فبسط يده فسبقه بشير وبايعه ثم بايعه عمر وسائر الناس

وقد استقرت بذلك الخلافة لابي بكر وذلك فى سنة ١١ هجرية فصعد علي المنبر وقال ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه .

ايها الناس وليت امركم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني . الصدق امانة والكذب خيانة والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق والضعيف منكم قوي حتي آخذ له الحق ان شاء الله تعالي

لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم ألا ضربهم الله بالذل

اطيعوني ما أطعت الله ورسوله واذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله)

أثر خطبته في سياسة حكومته

لقد كانت تلك الخطابة الكبيرة المعنى اساً صالحاً قام عليه بناء الحكومة في الاسلام فكان صريحاً فى أنه تولى أمرهم ببايعتهم له ورضائهم عنه واقرار زعمائهم علي تسلمه زمام الامور . وانه بهذه الثقة الغالية وهذا الاختيار لايعتقد في نفسه العصمة والبعد عن الخطأ فهو كاحدهم يرجو منهم المعونة ان أحسن التصرف والنصيحة ان اخطأ . فأحس الجمهور بذلك انه صاحب الامر والنهي وان كرامته في معونة الخليفة على الصواب والحرص على نصيحته ان عدل عن جادة الحق فلم يقصروا فى مناقشته ومواجهته بالحقائق بينهم كتاب الله وسنة رسوله يحتكمون اليهما ان اختلف الرأي بينهم . ثم نبه الامة منذ الساعة الاولي ان عزها مقرون بمداومة الجهاد وان الذل واقع عليهم ان أهملوه وكانت هذه الصرخة لا لقومه فقط بل للاجيال التي تعاقبت . فكان الاسلام عزيز الجانب ما قام المسلمون بالجهاد وانحطت الشعوب الاسلامية الى درك المذلة والاسترقاق باعراضهم عن الجهاد .

وقد آن للمسلمين أن يجاهدوا فى الله حق جهاده كما أمرهم الله في محكم كتابه ليهديهم سواء السبيل حيث قال (والذين جاهدا فينا

لنهدينهم سبلنا) سبل النجاح والخلاص مما تورط فيه المسلمون والجهاد في الدين اعلان احكام الله ونشر شريعته السمحاء وتبليغ رسالة النبي عليه الصلاة والسلام .

حزمه فى سياسته

لقد كان للمؤمنين فى ابي بكر خير منقذ من الارتباكات وانحلال عرا القوة والمكانة الشديدة التى بلغها المسلمون بالرسول الامين . فأنه لم ينشر نعيه عليه الصلاة والسلام في الافاق حتى ظهر النفاق وأشرأبت اعناق الامم المجاورة .

ولكن ماذا فعل أبو بكر.؟ قام وأمر أسامة بن زيد بالمسير بجيشه الذى كان النبي ﷺ أعده قبل وفاته لبعثه الي الشام وتأخر بسبب مرضه ووفاته عليه السلام ولم يسمع أبو بكر قول الناعين ان العرب اضطرب حبل طاعتهم والجيش يكبح جماح المترددين والعاصين وقال والذي نفسي بيده لو ظننت ان السباع تتخطفني لانفذت جيش أسامة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد خرج جيش أسامة الى معسكره وقد أراد بعض الانصار ان يولى عليهم الخليفة اكبرهم سناً فخرج اليهم أبو بكر وقال ان التفاضل بين المسلمين انما بالتقوى ثم أشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب . فقال له أسامة ياخليفة رسول الله لتركبن او لأنزلن فقال والله لانزلت ولا اركبت وما على ان أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله . فلم يسع الانصار الا السكوت بعد رأوا الخليفة يسير ماشياً فى ركاب

أسامة . وساروا صحبة أسامة وابدوا من الطاعة والاخلاص ما ممكن للمسلمين كلمتهم ورفع لواء الحق عالياً .

ولما أراد الرجوع قال لاسامة ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل فأذن له . فبهذا التصرف أدب الخليفة جيشه وعلمه الطاعة لقائده وبهذا امكن لهم الفوز وأعدهم للنضال عن الحق .

أهل الردة

وبينما ابو بكر يفكر فى أمر الذين ارتدوا من العرب وهو يطاول فى الامر انتظارا لرجوع أسامة بجيش المسلمين أعجلته عبس وغطفان واسد وطىء وكان بعضهم نازلا بذي القصة وبعضهم بالابرق فارسلوا اليه وفداً يبذلون الصلاة ويمنعون الزكاة فردهم خائبين فرجعوا واخبروا القوم بقلة المسلمين وضعفهم وقد اعماهم الجهل وغرتهم كثرتهم ونسوا ان في المسلمين قوة الايمان واليقين وفيهم من الصيد والصناديد مثل عمر وعلى وطلحه والزبير .

وقد ادرك ابو بكر بعد مسير الوفد ان العدو قد يهاجمهم ليلا أو نهاراً على غرة فجعل علي انصار المدينة علياً وطلحة والزبير فما لبثوا ثلاثا حتي طرق العدو المدينة ليلا فرد المسلمون العدو ولم يصرع احد منهم .

ثم خرج ابو بكر ليلا على كعبيه فما طلع الفجر الا وهم والعدو علي صعيد واحد فما شعروا بالمسلمين حتى وضعوا فيهم السيوف فولوا الادبار وأتبعهم ابو بكر حتي نزل بذي القصة وكان أول الفتح ووضع

فيها النعمان بن مقرن ثم عاد الى المدينة وقدم في اثناء ذلك أسامة ابن زيد بجيش المسلمين فاستخلفه ابو بكر على المدينة ثم نظر الى المرتدين فجهز جيوشاً عدة لمحاربة أهل الردة على كل جيش امير من أمراء العرب وقد كانوا نحوا من احد عشر جيشاً . كان لكل جيش نصر من الله وفتح عجيب يضيق المقام عن شرح تفاصيلها التي يستنتج منها مايأتي :

(١) — ان المرتدين منهم من توقف عن أداء الزكاة فقط وهم عامة العرب ومنهم من ارتد فعلا وهم بعض القبائل .

(٢) — ظهور دعوي النبوة بين العرب حتي ادعاها اربعة من العرب وامرأة .

(٣) — انقسام معظم العرب فى حروب الردة منهم للاسلام وبعضهم عليه .

(٤) — سرعة التوفيق في انهاء حروب الردة .

الفتح الاسلامى

ترى فى توجيه ابي بكر للعرب الى الفتح ونشر كلمة الله في الاقطار حكمة اجتماعية وسياسية عليا اذ صرفهم بذلك عن العداوة والحروب الداخلية وأبعدهم عن الدس والفتنة وسيرهم مع الجيوش الداعية الى الله تحمل لفريق أهل الكتاب لواء الاسلام (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا) ولفريق الصابئة وغيرهم من المشركين (الاسلام أو الجزية أو السيف) فلم تكن الدعوة الاسلامية قائمة على التعصب الديني وأكراه الامم

على الاسلام بل تركت لهم الحرية وقبلت ممن بقى على دينه الجزية ضريبة ليحفظ له ماله وولده وحرمته كما تأخذ الامم المتحضرة الآن الضرائب لتقيم العدل بين الناس .

هذه هي قاعدة الفتح الاسلامى فما لبثت جيوش المسلمين تسير فى الاقطار والامصار حتي هرعت اليهم الامم تقبل الدخول فى حماية المسلمين هربا من المظالم التي أنزلتها بهم حكومات الاستبداد والارهاق الذي ظلت فيه قرونا طويلة . فحضر المسلمون الامصار وعمروا المسالك وكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون القسطاس ويأخذون على يد الظالم حتى يخذي .

فبلغت الامة الاسلامية بمباديء العدل والانصاف فى ربع قرن مالم تبلغه القوة الغشوم قوة الجيوش والاساطيل في قرون عدة . ولن يذكر فى صفحات التاريخ انصع بياضاً من تلك الصحف التى سطرها المسلمون فى فتوحاتهم من رعاية الامم الضعيفة وأخذها بالرفق والاناة .

اصبح العرب بتوجيههم الى الفتح والدعوة الى كلمة الحق من قادة السياسة والحرب وأفضل من ساس الامم فبات المغلوبون لهم . الخاضعون لسلطانهم من الروم احرص الناس علي حكمهم وأرغبهم فى شرعهم . ولم يكن ذلك الا دليلا علي أن الفتح الاسلامى كان انقاذا للامم من ظلم الاستعباد الى قضاء الحرية والعدالة .

فتوحات ابى بكر

هذه كلمة ساقها اليراع فى الفتح الاسلامى الذى بدىء فى عهد خليفة رسول الله ابي بكر الصديق الذي رأيت حزمه وكياسته وأخلاصه ووطنيته ففتح العراق الذى كان تحت أمرة الفرس الدولة القوية ذات السلطان وقد أنجز الله وعده (وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض) ثم انصرفت همته الي الشام التي كانت تابعة لمملكة الروم وهى بلاد عربية ضربت عليها سيادة الروم فكان فتحها أمرا لامندوحة عنه لتحكم بأهلها وتتخلص من العدو الغاصب

فأرسل أول لواء عقده الي الشام لواء خالد بن سعيد بن العاص فى أوائل سنة ثلاث عشرة بعد عوده من الحج ثم ارسل فى أثره يزيد بن ابي سفيان وأوصاه وصية غاية فى الحكمة السياسية .. ثم ارسل غيره من امراء المسلمين ليعاونه فاجتمع الامراء في اليرموك ووفد خالد بن الوليد ثم دبروا أمرهم ورسموا خطط السير ودخلوا الشام معلنين الحرب علي الروم في قعر دارهم وقد أبلي المسلمون بلاء حسناً والنساء المسلمات يشدون عزائم الرجال ويواسينهم بأنفسهن في ساحات القتال حتي بلغن من كيد العدو مالم تبلغه منه السيوف وقمن بخدمة الاسلام كما قام رجالهن الذين أوردوا الروم موارد الحتوف .

وبينما المسلمون فى يوم الفصل من هذه الحروب قدم البريد من المدينة واسمه محمد بن زنيم فسألوه الخبر فأخبرهم بسلامة وأمداد

وانما جاء بموت أبي بكر فكتم هذا الخبر عن المسلمين ريثما تضع الحرب أوزارها وتولي الروم أدبارها . وعلي ذلك لم يتم فتح البلاد الشامية في عهد ابي بكر وانما تم فى زمن عمر بن الخطاب . وكان لابي بكر فضل بدء الفتوح الاسلامية ورسم سنن العدالة والوصايا الحكيمة .

بيانه
فى الخلافة والرعية

لن ينسى التاريخ لابي بكر موقفه الحازم يوم ان نعى النعاه رسول الله بين المؤمنين فاغربت نفوسهم وعلا الهرج وبرزت الفتنة من مرقدها فصد ابو بكر ما خالج النفوس من اليأس وما ساور المنافقين من اهل الردة وزحزحة ماثبته سيد المرسلين ثم سار بعد ذلك سيرة الرشد فكان أول الخلفاء الراشدين .

ولقد كان في ملاينته وسياسته للذين توقفوا عن بيعته أعظم الاثر اذ أزال من نفوسهم بالحجة والبرهان واللين ماحبب قلوبهم اليه ولم يلجأ للعسف والشدة معهم فكانت بصيرة له نافذة وعزيمة قوية هادئة بددت غيوم الفتن .

وناهيك بعظيم سياسته وثاقب رأيه ووصاياه للقواد والامراء بالرفق واللين بالامم المغلوبة حتى لاتمس الانسانية ولا يخدش وجه العمران وكان

ذلك من اكبر دواعي انتشار الاسلام على وجه البسيطة والاخذ بمجامع قلوب الشعوب التي أنضوت تحت لوائه وكانوا من أنصاره واوليائه .

بعكس ما كانت عليه جند الفرس والروم اذ غلبوا امة عتوا فيها عتواً كبيراً وأباحوا الاموال والانفس والشهوات كما هو حال الامم الغربية حين غلبت المسلمين بالاندلس او تونس والجزائر أو طرابلس أو الهند او جزائر جاوه وما جاورها . فليست هذه أثار المدنية التي يدعون انهم رفعوا لواءها . بل هي أثار الوحشية والقرون الاولى . التي جاء الاسلام لينشر على العالم السلام منها ويكون للانسانية نصيرا. ولم يفعل غير ذلك ابو بكر وقواده .

هذه سياسته في خلافته اما سياسته في الرعية فكانت شدة في غير عنف ولين من غير ضعف بطيء العقوبة غير متعجل فيها الا بقصاص واجب وكان كثيراً ما يحذر الرعية من الدخول في غمار الفتن التي تسفك فيها دماء المسلمين ويحملهم على التعفف عن المغانم والقناعة بالكفاف خشية ان تحيا فيهم غريزة الطمع فيميلون الى الترف والنعيم اللذين يقعدان بهم عن متابعة الجهاد ويشلانهم عن بث الدعوة بين العباد .

أدبه وتأديبه

أخرج ابن عساكر ان النبي ﷺ قال لابي بكر أنا اكبر أو أنت قال أنت اكبر واكرم وأنا اسن منك .

وكان اذا جاءه مادح قال اللهم أنت اعلم مني بنفسي منهم اللهم اجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون .

وقد مر أبو بكر رضي الله عنه بعبد الرحمن بن عوف وهو ينازع جاراً له فقال لا تنازع جارك فأنه يبقى ويذهب الناس.

هذا أبو بكر أول خليفة للمسلمين كان ديموقراطياً بالمعني الذي يفهمه الساسة الاوربيون ليس له خدم ولا حجاب يخالط الناس ويناجيهم ويحادثهم ولو كانت الخلافة الاستواء علي العرش من وراء السجف لما قامت للمسلمين قائمة ولما انتشر الاسلام في الشرق والغرب وها نحن نري الملوك والسلاطين الذين ترفعوا عن الناس وحاولوا دون الاختلاط بالرعيه تحوطهم الفتن والدسائس وتلعب بطاناتهم بالنار من حولهم وهم لا يشعرون

مرض ابي بكر

فوجيء ابو بكر رضي الله عنه بحمى لم تمهله حتى قعدت به عن مزاولة الخلافة فقعدت عائشة عند رأسه يوما وهو فى مرضه وقالت شعراً

وكل ذي أبل موروث وكل ذي سلب مسلوب
وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

ففهم ابو بكر ما أرادت وقال ليس كذلك يا ابنتاه ولكنه كما قال الله (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)

ولما ثقل على ابي بكر المرض دخلت عليه عائشة فقالت

« يا أبت أعهد الى حامتك وانفذ رأيك فى عامتك وانقل من جهازك الى دار مقامك انك محصور متصل بقلبي لوعتك وأري تخاذل

أطرافك وامتقاع لونك والي الله تعزيتي عنك ولديه ثواب حزني عليك ارفأ قلا أرفأ وابل فلا ابقى . فرفع رأسه اليها وقال « هذا يوم يجلى لي عن غطائي وأشاهد جزائي . ان فرحا فدائم . وان ترحا فمقيم . اني أطعت امانة هؤلاء القوم حين النكوص اضاعة . والخذل تفريطاً . فشهيدي الله ما كان يقيلني أياه فتعلقت بصحفتهم . وتعللت بدرة لفحتهم فأقمت صلاتي . معهم لا مختالا إشراً . ولا متكاثراً بطراً . لم أعد سد الجوعة ووري العوره وقواتة القوام . حاضري الله من طوى ممعض تهفو منه الاحشاء . وتجف له الامعاء . فاضطررت الى ذلك اضطرار المريض المعيف الآجن فاذا أنا مت فردى اليهم صحفتهم وعبدهم ولفحتهم ورحاهم ودثارة ما فوقي اتقيت بها أذى البرد ودثارة ما تحتي اتقيت بها نز الارض كان حشوها قطع السعف المشع)

استخلافه عمر ووصفه له

اشتد على أبي بكر المرض ووصى ابنته برد مال المسلمين للمسلمين حتى الدثارة التي اتقى بها أذي البرد والدثارة التي اتقى بها نز الارض وكان حشوها قطع السعف ثم لم يشغله الاستعداد للقاء الله عن أمر المسلمين وخشي أن هو مات ولم يعهد بالخلافة لاحد ان تكون فتنة تضطرب لها الدهماء . فأخذ فى استشارة الصحابة فيمن يوليه أمرهم واحداً بعد واحد ممن يعهد فيهم الحكمة وبعد النظر فأشاروا عليه بعمر . وقد عزم هو ان يعهد اليه بالامر ولكنه أراد الاستشارة لقطع دابر الفتنة التي يخشاها

ودخل عليه بعض الصحابة فقال قائل منهم ماأنت قائل لربك اذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد نري غلظته فقال ابو بكر بالله تخوفني ؟ اللهم أني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ماقلت من ورائك

ثم دعا عثمان فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد ابو بكر خليفة محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى ألحال التى يؤمن فيها الكافر ويتقى الفاجر اني استعملت عليكم عمر ابن الخطاب فأن يرو عدل فذلك علمى به ورأيي فيه . وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير اردت ولكل امرىء ماكسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورقوا به . ثم دعا ابو بكر بعمر خاليا واوصاه ما أوصاه ولما خرج عمر من عنده رفع يديه وقال

اللهم اني لم ارد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما انت اعلم به واجتهدت لهم رأيا فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم وأحرصهم على ماأرشدهم وقد حضرني من أمرك ماحضر فأخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اصلح اللهم ولاتهم واجعلهم من خلفائك الراشدين واصلح له رعيته .

وفاة أبي بكر

لما ثقل عليه المرض أوصى عائشة ان يدفن الى جنب رسول الله ﷺ واشار الى ثوبيه فقال اغسلوهما وكفنوني فيهما فأن الحى احوج الي الجديد من الميت وأوصي ان تغسله امرأته اسماء بنت عميس ويعينها ابنه عبد الرحمن وكتب وصيته بخمس ماله وقال آخذ من مالى ماأخذ الله من فيء المسلمين ثم قال انظروا كم أنفقت منذ وليت بيت المال فاقضوه عني فوجدوا مبلغه ثمانية الاف درهم .

ولما حضرته الوفاة قال أى يوم هذا قالوا يوم الاثنين قال ان مت من ليلتي فلا تنظروا بي الغد فأن احب الايام والليالى الى اقربهامن رسول الله ﷺ وتوفي ابو بكر من ليلته وهى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جماد الآخر في السنة الثالثة عشر للهجرة . وعمره ثلاث وستون سنة ودفن الى جنب رسول الله ﷺ .

تأبين أبي بكر بعد وفاته

لما قبض ابو بكر ارتجت المدينة ودهش القوم كيوم قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم . وجاء علي بن ابي طالب باكيا مسرعا مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول :

رحمك الله ياأبا بكر كنت والله أول القوم أسلاما . وأحلقهم ايمانا وأشدهم يقينا وأعظمهم غني واحفظهم علي رسول الله ﷺ واحدبهم علي الاسلام واحماهم من اهله وأنسبهم برسول الله خلقا وخلقا وفضلا وهديا وصمتا فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله وعن المسلمين خيرا .

صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقاً (والذي جاء بالصدق وصدق به) يريد محمدا ويريدك . كنت والله للاسلام حصنا وللكافرين ناكباً . لم تضلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك كالجبل لاتحركه العواصف ولا تزيلة القواصف . كنت كما قال رسول الله ﷺ . ضعيفا في بدنك قويا في دينك متواضعاً فى نفسك عظيما عند الله . جليلا في الارض كبيراً عند المؤمنين لم يكن لاحد عندك مطمع ولا هوي فالضعيف عندك قوي والقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف فلا حرمنا الله اجرك ولا اضلنا بعدك :

وقالت أبنته عائشه فى تأبينه :

نضر الله ياأبت وجهك وشكر لك صالح سعيك . فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها . وللآخرة معزاً باقبالك عليها ولئن كان اعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ رزؤك وأكبر الاحداث بعده فقدك ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض وأنا منجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ومستعينة كثرة الاستغفار لك فسلم الله عليك توديع غير قاليه لحياتك ولا زارية على القضاء فيك .

ودخل عليه عمر وقال . ياخليفة رسول الله لقد كافت القوم بعدك تعباً وولیتهم نصبا فهيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك . ؟ ؟

* * * * *

نظام خلافته

كانت حالة الخلافة الاسلامية الي عهـده أنه خليفة وعمر بن الخطاب قاضيه وابو عبيدة أمينه وكتابه عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب وزيـد بن ثابت .

ولايات الاسلام

وكانت ولايات الاسلام فى عهده عشرة لـكل واحدة وال

١ — (مكة) وعليها عشاب بن أسيد الذي ولاه رسول الله ﷺ

٢ — (الطائف) وعليها عثمان بن العاص

٣ — (صنعاء) وعليها جماعة من المهاجرين من بنى أميه

٤ — (حضر موت) وعليها زياد بن لبيـد

٥ — (خولان) وهى قبيلة عظيمة تسكن اليمن وعليها يعلى بن منبه

٦ — (زبيد) وعليها ابو موسي الاشعري

٧ — (نجران) وهو موضع شمال اليمن به قبائل من بني الحوت وعليـه جرير بن عبد الله

٨ — (البحرين) من شواطىء بلاد العرب وعليها العلاء بن الحضرمى

٩ — (جرس) وهو مخلاف باليمن وعليه عبدالله بن نور

١٠ — (دومة الجندل) وعليها عياض بن غنم وقاعدة اعماله جدة

وأمير جند الشام خالد بن الوليد

وأمير جند العراق المثنى بن الحارثة

خاتمة
في تاريخ ابي بكر

لقد كان للمؤمنين أسوة حسنة في رسول الله وفى أبي بكر حين ولى الخلافة فقد كان مثلا أعلي في العدل والحكمة والزهد فى الدنيا والتواضع وشظف العيش وخشونة الملبس مع غناه ووفر دخله من املاكة فاقتدى به المسلمون وتعفف كبارهم وسراتهم عن التنعم وكان قدوة حسنة لامراء العرب واشرافهم وملوكهم حتى ان وفدا من أشراف اليمن وملكهم قدموا عليه في حلهم وبرد الوشي المتقل بالذهب والتيجان والعبيد فما شاهداه وما عليه من اللباس والتواضع والنسك والوقار والهيبة ذهبوا مذهبه ونزعوا ما كانوا عليه حتي رؤي يوما احد ملوك اليمن فى سوق من اسواق المدينة وعلي كتفيه جلد شاة ففزعت عشيرته وقالوا له فضحتنا بين المهاجرين والانصار .قال فأردتم ان اكون ملكا جبارا في الاسلام لا والله لاتكون طاعة الرب الا بالتواضع والزهد .

وفي هذا بلاغ لامراء المسلمين واشراف العرب وملوكهم وقادتها لعلهم يدركون سر ضعف المسلمين وتماذلهم وانصرفهم عن طريق الدين الى مسالك الرفه والنعيم الذى اذل المسلمين وأوقعهم فريسة فى شباك المستعمرين .

عمر بن الخطاب

حاله فى الجاهلية

لم يكن عمر بن الخطاب فى الجاهلية بالنكرة بين قومه بل كان علماً من أعلامها وقوة لا يستهان بها يساعده فى ذلك انه أحد من انتهى اليهم الشرف من قريش له مكانة بين قومه وعزة جانب مع أنه لم يكن ذا مال وغني بل كان ذا شخصية قوية حفظت له نفوذاً كبيراً ومهابة لم تكن العرب لتخضع لها بسهولة

كان عمر تاجراً فى كبره راعى أغنام في صغره عرف بالشدة وقوة الشكيمة ـ ولذا كان يدعو الله النبي ﷺ بقوله (اللهم أعز الاسلام) وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزبز بن رباح بن عبد الله بن شرطين رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي جد رسول الله ﷺ وكنيته أبا حفص ولقبه الفاروق .

ولد رضى الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة واليه كانت السفارة فى الجاهلية فاذا وقعت حرب بين قريش وغيرها أو نافرهم أو فاخرهم أحد كان هو السفير في أمرهم والنائب عنهم في المنافرة والمفاخرة تربي على الشهامة والنجدة وكان من أكبر المعارضين في الاسلام عند ظهوره .

اسلامه وصحبته

كان المسلمون قبل أسلام عمر بن الخطاب أقلية يخشون المجاهرة بأسلامهم ويجتمعون فى دار الارقم بن أبي الارقم المخزومى خفية لقلتهم وشدة قريش عليهم وليس هذا لانهم من أصاغر القوم لا بل بينهم من سادات قريش وأغنيائها وذوى الشرف فيهم . فمنهم أبو بكر الصديق وطلحة بن عبد الله وعثمان بن عفان وحمزة بن عبد المطلب . وغيرهم من صناديد قريش . الا أن الكثير منهم هاجر الى الحبشة بعد اسلامه لاضطهاد قريش لهم ولم يكن للبقية منهم الجرأة علي الظهور ولذلك كانوا فى حاجة للاستكثار من ذوى العصبية أو الجرأة والاقدام من رجالات قريش ليستطيعوا اعلان دينهم والذب عن نبيهم . وكان عمر ممن عرف بقوة البطش ونفوذ الكلمة وسمو المكانة .

فمن الله علي عمر بالايمان والاسلام فكان إسلامه فتحاً ونصراً

سبب إسلامه

وقد يسأل الانسان نفسه كيف أسلم هذا الرجل مع شدته فى قومه ومعارضته للاسلام في أول أمره وقد كان يعتز به كفار قريش أما سبب إسلامه فقد روي عنه رضى الله عنه أنه قال لجماعة من أصحابه أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدؤ إسلامى ؟ ثم قال

كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا في يوم شديد الحر بالهاجرة قابلني رجل من قريش فى بعض طرق مكة فقال أين تذهب ؟ يا ابن الخطاب انك تزعم انك هكذا

وقد دخل عليك الامر في بيتك ؟ قال فسألته وما ذاك فقال أختك قد صبأت . فرجعت مغضباً وكان قد ضم الي زوج اختي رجلين فقرعت الباب فقيل من هذا ؟

قلت ابن الخطاب . وكان القوم جلوساً يقرأون القرآن فى صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي اختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم . ثم قامت المرأة ففتحت لى .

فقلت ياعدوة نفسها قد بلغنى انك صبوت ورفعت يدى بشيء أضربها به وسال الدم فلما راته بكت ثم قالت ، يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد اسلمت

فدخلت وانا مغضب ، فجلست علي السرير ، ونظرت فاذا بكتاب فى ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب ؟؟ اعطنيه فقالت لا اعطيك لست من اهله ، أنت لاتغتسل من الجنابة ولا تطهر . وهذا لايمسه الا المطهرون

ولم أزل بها حتي أعطتنيه فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدى .. ثم رجعت إلي نفسي فاذا فيها (سبح لله مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) فذعرت وعادت الي نفسي وكلما مررت بأسم من أسمائه تعالي ذعرت ، ثم ترجع الى نفسي حتي بلغت قوله تعالي (وآمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) حتي بلغت الى قوله (ان كنتم مؤمنين)

قال عمر .. فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوه مني وحمدوا الله

ثم قالوا يا ابن الخطاب أبشر فان رسول الله ﷺ دعا يوم الاثنين فقال (اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين أما عمر بن هشام واما عمر بن الخطاب)

ثم سألتهم عن مكان رسول الله صلي الله عليه وسلم فوصفوه لي فخرجت حتى قرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب فقال رسول الله افتحوا له فانه ان يرد الله به خيراً يهده . ففتحوا لى . ثم دخلت وجلست بين يدي رسول الله فأخذ عليه السلام بمجمع قميصى وجذبني اليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده . فقلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . . فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة . اه

اعلان الدعوة للاسلام

ثم أن عمرا لما أسلم قال يا رسول الله علام نخفى ديننا ونحن علي الحق وهم علي الباطل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قليل وقد رأيت ما لقينا ، فقال له عمر والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين حمزة فى أحدهما وعمر فى الآخر حتى دخلوا المسجد . فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة شديدة ، ومن يومئذ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق لانه أظهر الاسلام وفرق بين الحق والباطل . وأنزل الله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

فكان رضي الله عنه نصيراً للدين غير هياب ولا مستخف حتي انه عند ما اذن الله بالهجرة لم يتسلل لها خفية بل جاء الى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعاً وقال من أراد ان تثكله أمه او يتم اطفاله فليلقني وراء هذا الوادى واخبرهم بالهجرة .

ثم صحب النبي صلى الله عليه وسلم فأحسن صحبته وبذل في نصرته مهجته كما كان فى مكة شديد على المخالفين قواما على الحق لا يفتأ يراقب حركات المنافقين ويستطلع ضمائر الوافدين حتي اذا تفرس في أحدهم سوء نية لازمه في دخوله وخروجه وألزمه حد الادب مع رسول الله صلي الله عليه وسلم .

هكذا كان عمر رضى الله عنه نافعاً في صحبته ملازما للنبي صلي الله شديد الحرص عليه والحب له والمدافعة عنه . وشهد معه من المشاهد بدراً واحداً والخندق وبيعة رضوان وحنينا وفتح وخيبر وغيرها . وكان من حبه رضى الله عنه انه لما مات النبي صلي الله عليه وسلم لم يصدق بموته واصابه من شدة الحزن دهشة حتي قام فقال .من قال ان محمداً قد مات علوت رأسه بسيفى هذا . . وقد أرهب عمر المنافقين بهذا القول فأذهلهم عن الكلام حتي جاء ابو بكر وسكن اضطراب النفوس بحزمه وبيانه

خلافة عمر

تولي عمر أمر الخلافة وقد استخلفه عليها ابو بكر الصديق رضى الله عنه فكان في ظاهر الامر الخروج عن الشوري الذي قضى به القرآن الحكيم ولكن حقيقة الحال انها كانت بتسليم المسلمين وتسامحاً عنهم منعاً للفتنة والخلاف بين النفر المتطلعين اليها من المهاجرين هذا من جهة ومن جهة أخري تفرس المسلمين في عمر القدرة على سد الذرائع واطفاء الفتن كما تفرس فيه ابو بكر وكبار الصحابة وقد صدقت فى عمر رضي الله عنه فراستهم

فكان بطل العدالة والامارة وأس المسلمين والخليفة الذي ضربت بديموقراطيته الامثال وتناقلتها السن جميع الاقوام والتي لا زالت الامم تخرج عن طاعة حكوماتها وتثور ضد امرائها فى سبيل المطالبة بعدل مثل عدله وحكم كحكمه . ولا عجب فقد كان المثل الاعلى فى الحرص علي مصلحة لي اعة المسلمين فى تواضع وأناة وانظر للذات وتقدير للمسئولية التي على عاتقه متمثلا في كل لحظة بقوله عليه السلام . « كلكم راع وكلكم مسئول عن العيته » .

بلغ أهل الشام مرض أبي بكر واستبطئوا الخبر وقالوا انا لنخاف أن يكون خليفة رسول الله قد ماث وولى بعده عمر . فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب وانا نري خلعه فقال بعضهم ابعثوا رجلا ترضونه اليه . وقد استبطأ عمر مبايعة أهل الشام فلما أتاه قال له كيف الناس ؟ قال سالمون صالحون وهم لولايتك كارهون ومن شرك مشفقون فأرسلوني أنظر أحلو انت أم مر ؟

فرفع عمر يديه إلى السماء وقال اللهم حببني الى الناس وحبب الناس الي فاستجاب الله دعوته وكان عمر في سياسة الرعية حجة على الخلفاء والولاة وقد أجمع المؤرخون من عرب وفرنجة على أنه أعدل من ساس الامم

اعماله فى خلافته

﴿ فى بلاد فارس ﴾

أول عمل قام به عمر فى خلافته انتداب الناس مع أبي عبيد الثقفى لحرب الفرس وأوصاه وصية رجل درس الامم وطبائعها فقال له (ستقدم علي أرض المكر والخديعة تقدم علي قوم تجرأوا على الشر فعلموه وتناسوا الخير فجهلوه فانظر كيف تكون . احفظ لسانك ولا تفشين سرك حتى لا تكون بمضيعه) .

ثم أمر الثقفى أن يتقدم الي أن يلحق الجيش وأمره أن يستنفر من حسنت توبته من المرتدين فسار مسرعا حتى وصل الحيرة . وكان الفرس قد شغلوا عن المسلمين ببعض اختلافات داخلية على من يتولي ملكهم واتفقوا أخيرا علي ولاية (بوران بنت كسري) وان يقوم بأمرها رستم حتي يجدوا رجلا من بيت كسرى يصلح للملك .

فاستعد رستم لقتال المسلمين وجهز الجيوش فأرسل جيشاً الي الفرات وجيشاً الى كسكر (١) وآخر لملاقاة المثني . واغرى الفلاحين ان

---

(١) بين بغداد والبصرة

ينتقضوا على المسلمين . فخرج المثني من الحيرة الي خفان (٢) وانتظر ابا عبيد حتي وصل بعد شهر فسار منها الى الفرس فهزمهم ولحقوا بكسكر فقصدها أبو عبيدة وقد كانت جيوش الفرس تلاحقت فالتقى بهم أبو عبيدة وهزمهم شر هزيمة وبث سراياه وتجمع بما حواليه من الانهار واعتصم بمعاقله حتي جهز الفرس جيشاً آخر تحت قيادة (بهمن) المعروف بذي الحاجب ومعه الراية العظمى لفارس واسمها (درفش كاويان) طولها اثني عشر ذراع فى عرض ثمانية اذرع مفصله من جلود فحدثت بين المسلمين والفرس وقائع علي الفرات انتهت بهزيمة الفرس وتقدمت العرب حتى مكنها الله من سواد العراق واجلاء الفرس عنها فكبر الفرس امتداد أيدي المسلمين لاخذ الجزية وزوال سلطتهم من الفرات وضعف بلاد الجزيرة وعبر ذلك من الطواريء متي تتبع الذلة والانكسار فقامت عامة الفرس وخاصتهم تتدارك الاضمحلال والزوال فأجمعوا أمرهم ورأوا من آل كسرى رجلا اسمه (يزدجر) فتوجوه ونادوا به ملكا عليهم فجمع النادة وسير الجيوش .

فلما علم الخبر سيدنا عمر بن الخطاب جمع شيشاً عظيما تحت قيادة سعد بن أبي وقاص الزهرى القرشي خال رسول الله صلي الله عليه وسلم وأوصاه بوصية أبانت أن الدين لا يعرف استقراطية بل يؤيد المساواة بين الطبقات فليس لاحد شرف علي الآخر لقرابته من رسول الله الا بالتقوي قال عمر رضى الله عنه .

وصية عمر بن الخطاب

﴿ لسعد بن أبي وقاص ﴾

(يا سعد بن ام سعد لا يغرنك من الله أن يقال خال رسول الله وصاحب رسول الله فان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكنه يمحو السيء بالحسن وليس بين الله وبين احد نسب الا بطاعته فالناس فى دين الله سواء وهم عباده يتفاضلون عنده بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الامر الذي رأيت فيه رسول الله ﷺ يلزمه فالزمه)

فسار سعد يقود الجيش الشديد وقد جمع أهل الرأي والجهاد والصبر يضم اليه من يصلح لاستكشاف عورات العدو . وقد بلغ سعد خبر وفاة المثني من جراحه التى أصابته فجمع جيشه وضم رجاله الى رجاله وعبي الجيش ورتب المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وسار نزل القادسية فأقام شهراً لا يأتيه عدو ثم تراسل مع (يزدجر) ملك الفرس وأنتهى الحال على خروج رستم فى مائة الف او يزيدون لقتال المسلمين

تلاقي الجيشان ووقعت واقعة القادسية التى استمرت ايام وليالى ولم يكن أشد على المسلمين من الفيلة لنفار خيل العرب منها وأشد هذه المواقع ليلة الدير التى حاربت فيها العرب والفرس من أذان العشاء حتى قام قائم الظهيرة وترك المسلمون فيها الكلام . فلا تسمع الا

صوت الحديد وانتهى الامر بهزيمة الفرس وقتل فيها رستم مع كثير من قواد الفرس وباد عسكرهم قتلا وغرقا

ثم مكث سعد ريثما استراح جيشه ثم قام يفتح المدائن ويصالح أمرائها على الجزية الى أن وصل الجيش عاصمة ملكهم فرأى ايوان كسرى أبيض ناصعاً فتذكر وعد الرسول ﷺ حيث قال (عصبة من المؤمنين يفتتحون البيت الابيض بيت كسري) فقويت قلوبهم ونادى ضرار بن الخطاب (الله اكبر) هذا أبيض كسري هذا ما وعد الرحمن وصدق رسوله وكبر المسلمون وحاصروا المدينة وفتحت القري المجاورة . وهرب يزدجر الى حلوان (١) ونزل سعد القصر الابيض واتخذه مصلى وصلي وقرأ فى صلاته قوله تعالي (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك فأورثناها قوما آخرين)

ثم أرسلت البشائر والغنائم لامير المؤمنين ثم فتحت حلوان وهرب منها يزدجر وفتحت نيكريت والموصل وغيرها من الجهة الشمالية

ثم فتح تستر جيش البصرة ثم السوس وواقعة نهاوندو تم التوغل فى بلاد العجم لضعف شوكة الفرس فأصبح سيدنا عمر أمير المؤمنين لا يخاف على المسلمين شيئاً من توغلهم في البلاد فعقد الالوية وسارت الجيوش حتي فتحوا تبريز وسار الاحنف الى خراسان ليلاقي « يزدجر » الذى أقام (بمرو) يثير الفرس على المسلمين فبلغ (هداة) من من بلاد الافغان فافتتحها وسار الى مرو فسلمت وكرمان وجستان

---

(١) بلد بينها وبين بغداد أربعة مراحل

ولكران وانتهوا الي دوين النهر الى الحدود بين الفرس والسند .

هذه فتوحات المسلمين فى بلاد الفرس وفيها تري صورة واضحة لقوة الايمان وقوة العقيده وكلاهما ذلل صعاب الامور وهزم الفرس على كثرة عددها وعديدها واستعدادها . وقد كان المسلمون خير اسوة في الانسانية فلم ينتهكوا حرمات البيوت ولم ينهبوا الآمنين ولم يعتدوا على غير المحاربين

ولم تقتصر الفتوحات في عهده رضى الله عنه على ذلك بل غزا دمشق وحمص وبيت المقدس وقد تم لجنوده المظفرة الاستيلاء عليها وضمها تحت لواء الاسلام .

اجلاء أهل نجران

لم تشغل أمير المؤمنين حرب جيوشه بالفرس عن أن ينظر في تطهير بلاد العرب من عوامل الفساد والفتنة فوجه نظره الى اجلاء أهل نجران لانهم نقضوا عهدهم لابي بكر واتجروا بالربي . وقد رأي أن فى اجلائهم من جزيرة العرب تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ حيث كان يرى أن لا يجتمع في جزيره العرب دينان .

هذا من جهة ومن جهة أخري أن النجرانيين كانوا يتجرون بالربا ولا يخفى ما فيه من الضرر على من جاورهم من أهل اليمن الذين ينضب التعامل بالربا معين ثروتهم ويؤذن بفقرهم مع ما فيه من الخروج عن تعاليم الدين الذي حرم الربا .

فأرسل عمر بعلى بن أمية الى اليمن وأمره باجلاء أهل نجران وأن

يعاملهم بالرأفة والاحسان فقال (انتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلهم من أقام منهم على دينه واقر المسلم وامسح أرض كل من تجلى منهم ثم خيرهم البلدان وأخبرهم انا نجلهم بأمر الله ورسوله ان لا يترك بجزيرة العرب دينان فليخرجوا من أقام علي دينه منهم ثم تعطيهم أرضاً كارضهم اقراراً لهم بحق على أنفسنا ووفاء بذمتهم فيما أمر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن)

بهذه الروح الانسانية العالية وبهذا التواضع والادب مع أقلية ليس لها من يحميها من المسلمين يخاطب أمير المؤمنين عامله ليعاملهم بالحسني وكانه يقول اعذرونا فى هذا الاجلاء فأنه بامر الله ورسوله وان لكم حقاً علينا . خذوا أرضاً كارضكم وتعويضاً عن أموالكم ودياركم وأين هذه المرتبة من الكمال الانساني مما نراه فى الحروب في عهد المدنية فانهم يستعذبون إيلام المغلوبين واضطهادهم وحرمانهم من حق الحياة في الحرية

وأين (ولسن) الذي خدر أعصاب الامم بمبادئه التى كانت حبراً علي ورق من عمر بن الخطاب ولعمري لو أن عصبة الامم انصفت لاخذت لها من سيرة عمر بن الخطاب درساً يعلمها كيف تذيع في العالم اعترافها بحقوق الامم المغلوبة على الغالبة ... ولكن للمسلمين يوم ترد فيه اليهم قوتهم فيصدون المستعمرين عن بلادهم ويعيدون للانسانية عهد الاخاء والحرية التي اظلتها مدة علو نجم الحكم الاسلامى .

* * * * *

فتح مصر و برقه

زار عمرو بن العاص مصر مرة فى عهد الجاهلية فرأى من ثروة أهلها وسهولة أمرها ما اطمعه فى فتحها فاختلى بعمر يوما وفاتحه بما فى نفسه وهون عليه أمر مصر ورغب اليه أن يوليه فتحها فتردد عمر رضي الله عنه في الامر لان جيوشه كانت متفرقة فى الشام والجزيرة وفارس تكافح دولة الفرس والروم فما زال به عمرو حتي استرضاه وأذن له بقصدها وجهز معه أربعة آلاف مقاتل

فسار عمرو بن العاص ودخل مصر ثم سار الي الفرماء فقاتله بها الروم نحو شهر فهزمهم وتقدم الي تواصر ودافع دفاعا خفيفاً ثم الى بلبيس ثم الى أم دنين ثم مصر وأبطأ عليه الفتح فاستمد عمر فأمده باربعة آلاف مقاتل ثم استمده مرة أخرى فأمده باربعة آلاف مقاتل وكتب اليه اني قد أمددتك باربعة آلاف رجل منهم رجال مقام الالف .

وقد مهد سبيل الفتح لعمرو ما كان في نفس قبط مصر من كراهية الروم ورغبتهم في التخلص من حكمهم والدخول فى سيادة المسلمين . فلما هزم عمرو جيش الروم تواطأ علي صلحه المقوقس وقومه وصالحوه ولما تم الصلح شخص الى الاسكندرية وكان فيها جمع كثيف من الروم فحاصرها مدة طويلة وأخذها عنوة وكتب بالفتح الى عمر واستقرت قدمه في البلاد . ونظم أمورها ووطد أسباب الراحة فيها

ثم سار عمرو الي برقة وهى واقعة بين مصر وطراباس فصالحه أهلها

على الجزية وسار الي طرابلس الغرب ففتحها عنوة وكتب الي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يبلغه خبر هذا الفتح المبين .

علائق عمر مع الملوك

كانت علاقته رضى الله عنه مع ملك الروم سلمية بعد أن استقر بين دولتيهما الصلح منذ أتم عمر رضى الله عنه فتح الشام والجزيرة وتبودلت بينه وبين ملك الروم المكاتبات الودادية حتي ان أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب زوج عمر بن الخطاب أرسلت مرة مع رسول جاء المدينة من قبل ملك الروم هدية من لطائف المدينة الي امبراطورة الروم امرأة هرقل وأرسلت لها هذه في نظيرها عقداً نفيساً من الجواهر ولكن عمر أخذه منها ورده إلي بيت المال لانه رأى أن عامل البريد يأخذ مرتبه من خزينة الدولة

وكاتب ملك الروم عمر وسأله عن كلمة يجتمع فيها العلم فكتب اليه (أحب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لها تجتمع لك الحكمة كلها واعتبر الناس بما يليك تجتمع لك المعرفة كلها)

أثاره في الخلافة

كتابة التاريخ الهجرى

كان العرب قبل الاسلام يؤرخون بالحوادث الشهيرة عندهم كعام الفيل وقد ظل هذا الحال مع المسلمين الي أن مضي سنتان ونصف من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أي الي سنة ست عشرة من الهجرة وفيها رأي عمر لزوم وضع تاريخ لضبط الحوادث بعد أن انتشر الاسلام وكثر الفتح وجمع الصحابة واستشارهم أي يوم يكتب التاريخ الاسلامى فأشار علي بن أبي طالب بان يجعل التاريخ من السنة التي هاجر بها رسول الله ﷺ

تدوين الدواوين وفرض العطاء

اتسع ملك المسلمين وزادت واردات الاموال من الجزية والخراج زيادة أحس بها عمر رضى الله عنه الى الفكرة في ضبطها حتى لا يحرم أحد من مستحقيها ويضمن توزيعها توزيعاً عادلا . فاستشار عمر رضى الله عنه الصحابة في الامر فقال على بن أبي طالب : تقسم كل سنة ما جاء اليك من المال ولا تحبس منه شيئاً . . . وقال آخر غير ذلك وقال الوليد بن المغيرة جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنداً . فدون ديوانا وجند جنداً . فأعجب عمر هذا الرأي وأمر بتدوين الدواوين وكلف عقيل بن أبي طالب وحمزة بن نوفل وجبير بن مطعم بالقيام بهذا الامر

ولما كتبت الدواوين كتب ديوان الشام بالرومية . وديوان العراق بالفارسية .

وفى هذا التصرف من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب منتهى الحكمة وبليغ الدرس للذين لا يؤمنون بان الدين لا يمنع الحضارة ولا يمنع تقليد الامم الراقية فى مستلزمات العمران والرقي وقد رضي عمر رضى الله عنه أن يقوم بسياسة الدولة المالية غير المسلمين من الروم والفرس وأدخل في حكومته الاصلاح لانه يعلم ان الله يامرنا بان نكون اقوياء فى الارض ولن تكون القوة في جمود وجبن بل القوة في الحركة والنشاط وسلوك سبيل الرقي والمنعة

ترتيب العمال وتقسيم الولايات

لما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كانت الحرب قائمة فجعل امارة الحرب فى كل جهة الى أمير مخصوص وكانت الامارة العامة لابي عبيدة الذى كان امير الشام فكانت معه المحابرة والصلح وكل ما يتعلق بالحرب وامورها وسياستها ولما زار الشام سنة ١٧ هـ رتب الشواتي والصوائف واقام الجنود علي السواحل وقسم الشام الى ولايات اقام في كل منها اميراً

ضرب النقود

كانت العرب قبل الاسلام تتعامل بالنقود الفارسية والرومية من الدرهم والدينار

فلما كانت سنة ١٨ هـ ضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وشكلها بأعيانها غير أنه زاد فى بعضها الحمد لله وفي بعضها محمد رسول الله

وضع البريد

أول من فكر فى وضع البريد ورتبه (دارا) ملك الفرس فى القرن الخامس قبل الميلاد ثم استعمله الرومان وغيرهم من الامم وقد أدخل عمر بن الخطاب البريد فى حكومته وأقام له عاملا مخصوصاً يسمى عامل البريد يقوم أيضاً بملاحظة بعض العمال لكتابة اخبار الولاة لدار الخلافة ليكون الخليفة على علم بها . وظل البريد في دائرة ضيقة حتي جاء معاوية فنظم له العمال والمحطات الى غير ذلك .

جملة اعمال اخرى

في سنة ١٧ هـ. حج عمر رضى الله عنه فبني المسجد الحرام ووسع فيه ونزع ملكية منازل ابي أصحابها ان يبيعوها له فأخذها باعتبار ان المصلحة العامة تقضى بذلك وأودع ثمن منازلهم فى بيت المال تحت أمر أصحابها . بذلك وسع مسجد رسول الله ﷺ

أقام دور الضيافات وأدر عليها الارزاق ووضع فى وسط الطريق بين مكة والمدينة دار ضيافة لابناء السبيل وفعل مثل ذلك بين الشام والحجاز ومنع الفقراء من التكفف بين الناس .

ثم امر بأقامة جسور وحفر ترع في العراق والشام ليتم الرخاء بين سكان دولته .

الوقاية من الطاعون والفرار منه

فى سنة ١٨ من الهجرة خرج عمر رضي الله عنه غازيا ومعه المهاجرون

والانصار فلما بلغ (سرغ) وافاه امراء الاجناد فى الشام واخبروه خبر الطاعون . فجمع الناس واستشارهم فى الرجوع فمنهم من أشار عليه بالرجوع ومنهم من أشار عليه بالقدوم فأصبح وقد عزم على الرجوع فقال له صحابي . أفرارا من قدر الله ؟ قال نعم . أفر من قدر الله الى قدر الله . . أرأيت لو أن رجلا هبط واديا له ضفتان احداهما خصبة والاخرى جدبة اليس يرعى من يرعى الجدبة بقدر الله ويرعى من يرعى الخصبة بقدر الله ؟ وبينما الناس على ذلك اذ أتي عبد الرحمن بن عوف وكان غائبا عن الناس ثم سأل ما الخبر فأخبر فقال عندي من هذا علم .

فقال عمر فأنت عندنا الامين المصدق فماذا عندك . قال سمعت رسول الله يقول (اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم به فلا تخرجوا فراراً منه) فقال عمر الحمد لله انصرفوا ايها الناس .

سياسته وعـــدله

نشأ العرب في الجاهلية علي الخشونة وجفاء الخلق والانفة عن الخضوع لحكم قانون أو سلطان . ولما جاء الاسلام هذب من حواشيهم ونقل كثيرا منهم من الحالة الاولى الي حالة المدنية ومكارم الاخلاق وهؤلاء هم الصحابة لمصاحبتهم رسول الله وتأثرهم بما في كتاب الله من الدعوة الي المحاسنة والملاينة . أما غيرهم فبقيت فيه اثار الجاهلية الاولي ولذلك لم يجد سيدنا عمر بدا من القسوة والشدة فى معاملتهم سيما ما كان يتوقعه من حصول الفتن والدسائس . ولو لم يقابل شدته اغراقه فى العدل وكرمه وبذل المال وحكمته فى وضع الثواب موضعه والعقاب حين لامناص منـه لما استقام له أمر الخلافة .

ثم رأي فى توجيه العرب الي الفتح صرفهم عن المنافسات التى كانت تسعر بينهم نار العداوة والحروب وعودهم بذلك الخضوع للسلطان والطاعة للرئيس الا فيما ينقص من حريتهم أو يعارض كتاب الله وسنة رسوله .

وكان عمر رضي الله عنه لاتخفى عليـه خافية من أمر رعيته سواء فى بلاد العرب أو غيرها لشدة يقظته وكثرة عيونه في نواحى دولته يأتونه بأخبار عماله وعلاقاتهم مع الرعية . فأذا اتصل به ان عاملا بدرت منه بادرة لاحـد أو هفا هفوة في شـأن ما فأنه لا يلبث ان ينذره أو يعزله . ولذلك كانت رهبته ملء القلوب وخافـه العمال وخضعت له النفوس العاتية .

وقد لقى عمر رجلا من قريش . فقال (لن لنا) ياعمر فقد ملات قلوبنا مهابة . فقال أفى ظلم ؟ قال لا . قال فزادني الله في صدوركم مهابة وقدأرادجماعة من الصحابة ان يخاطبوه فى شأن فهابوه فأرسلوا عبدالرحمن ابن عوف فذكر له خبرهم فقال عمر أوقد قالوا ذلك ؟ فوالله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله في ذلك . ولقد أشتددت عليهم حتى خشيت الله في ذلك . وايم الله لانا أشد منهم فرقا (خوفا) منهم مني . ثم قال ياعبدالرحمن والله لو أنهم يعلمون مالهم عندي من الرأفة والرحمة والشفقة لاخذوا ثوبي من عاتقي .

والذي زاد عمر مهابة في قومه ورعيته أنه كان لايراعى فى الحق كبيرا ولا يتمالىء شريفاً ولا أميرا . ومن ذلك ان جبلة بن الايهم ملك غسان لما أسلم ووفد علي عمر بن الخطاب بأبهة الملك وحشمه تلقاه عمر بالترحيب وبينما هو يطوف وطىء أزاره إعرابي من بني فزارة فضربه علي وجهه فشكاه الاعرابي الي امير المؤمنين فاستدعى عمر جبلة وقال له اماأن ترضيه وأما ان يضربك كما ضربته! فكبر ذلك علي جبله وقال الاتفرقون بين الملك والسوقة قال لا . قد جمع بينكم الاسلام . فأستمهله الي الغد ثم أخذ قومه وفر بهم ليلا .

وقدّم لمصري مثل ذلك مع عمرو حيث استعاذ بعمر منه فأرسل عمر الى عمرو فقدم عليه فأتي المصري وقال له أضربه فضرب المصري عمرو بالسوط ثم قال للمصرى ضعه علي صلعة عمرو . قال ياأمير المؤمنين انما أبنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو . مذ كم تعبدتم الناس ولقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟ . . قال ياأمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني .

وليس هذا بعجيب فأنه عمر وهو الذي قال بين أفراد امته (ايها الناس من رأي منكم فى اعوجاجا فليقومه) ثم قام رجل وقال له والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فقال عمر الحمد لله الذي أوجد في المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه

ولقد كان شديد العناية بأهل الذمة الذين دخلوا فى عهد المسلمين وسلطانهم من الشعوب الاخري وكثيراً ما وصى بالحرص على راحتهم وتجنب ظلمهم وكان لاينسى السؤال عنهم والاهتمام بهم ومن امثلة رأفته أنه رأي شيخاً من أهل الذمة يسأل على ابواب المساجد فقال ما انصفناك اخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك فى كبرك . . . ثم اجرى عليه من بيت المال مايصلحه .

وقد طاف ليلة بالمدينة على عادته فسمع امرأة من وراء بابها تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانبه * وأرقني ان لاخليل ألاعبه

فلولا حذار الله لاشيء مثله * لزحزح من هذا السرير جوانبه

فكتب عمر الى قواده وعماله ان لايمسكوا الجند في الغزو اكثر من اربعة أشهر وانها لفطنة جدير بها عمر الذي اتاه الله مالم يأت لاحد من الملوك والامراء بعده من السياسة والعدالة .

وكان عمر ديموقراطياً بأبلغ مايفهمه دعاة الديموقراطية فقد كان يخالط الناس ولا يحتجب عنهم وكان يكره من عماله الترفع والاحتجاب واتخاذ الحجاب حتى انه بلغه ان سعد ابن ابي وقاص بني داراً سميت بدار سعد . فكتب اليه بلغني انك بنيت قصراً اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد وجعلت بينك وبين الناس باباً فليس بقصرك ولكنه قصر

الخبال أنزله منزلا مما يلى بيوت الاموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس عن دخوله الخ

هذا تأديبه لعماله ووصيته لهم بان لا يحتجبوا عن الناس ولا غرابة أن يكون هذا حرصه على رعيته وهو الذى كان اذا بعث عماله شرط عليهم (أن لا تركبوا برذونا ولا تأكلوا نقيا ولا تلبسوا رقيقا ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس ان فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة ثم يشيعهم فاذا أراد أن يرجع قال (اني لم أسلطكم على دماء المسلمين ولا على أعشارهم ولا على أبشارهم ولا على أعراضهم ولا على أموالهم ولكني بعثكم لتقيموا بهم الصلاة وتحكموا بينهم بالعدل .)

ثم كان يهمه رضى الله عنه خبر عماله فان علم عن أحدهم ما يخل بالمروءة عزله حالا . ومن ذلك عزله للنعمان بن فضلة لانه سمع أنه قال :

ألا هل أتى الحسناء ان حليلها بميسان يسقى فى زجاج وحنتم

وكان من أعجب ما يذكره التاريخ بالفخر لهذا الخليفة ويسجله بالعار على من عدل عن عدله وسياسته أنه كان يعد مال عماله قبل أن يوليهم فاذا علم أنه زاد زيادة توجب الريبة أمر بالزيادة الى بيت المال

الى هنا نقف عند هذا العدل ونطلب ممن اعجبهم عظماء الغرب وسياسيهم ان ينظروا الى الحكام فى الاسلام قبل ان يصل نور الحضارة لاروبا وكيف كانوا يسوسون الامم ويولون العمال ويمزقون الفروق بين الطبقات .

بهذه السياسة الحكيمة وبهذا العدل جاء الاسلام وأمر المسلمين وان ما حل بالملوك والامراء والسلاطين من ضعف وسقوط انما كان عقابا لهم لانهم نكثوا عهد الله وخالفوا سنة نبيه والخلفاء الراشدين

مقتل عمر

كسب رضاء الناس غاية لا تدرك فمن كان يظن ان عمر ابن الخطاب لا يكتسب رضاء أحد رعاياه وهو كما كان علم العدل الخفاق علي ربوع البلاد الاسلامية اعدل من ساس الامم فى الارض منذ الخليقة الي الآن الا ان ذلك لم يمنع وجود نفس شريرة مجرمة تملكت شقي من اشقياء الخوارج ابو لؤلؤة المجوسى غلام المغيرة الذي قال وسع الناس كلهم عدله غيرى فجاء وهوفي صلاة الصبح فى المسجد وطعن الامام عمر بن الخطاب طعنة في كتفه ثم اثني في خاصرته . ولم ير احد هذا الاثيم ولم يعلموا الا حين سمعوا اميرهم يقول قتلني الكلب .

ولما سقط عمر قال أفي الناس عبد الرحمن ابن عوف قالوا نعم قال هو ذا قال تقدم فصل بالناس . فصلي عبد الرحمن بالناس صلاة خفيفة وعمر طريحا ثم حملوه فدخل داره فدعا بعلى وعثمان والزبير وقال لهم تشاوروا فى امر الخلافة وليشهدكم عبد الرحمن بن عمر وليس له من الامر شيء . قوموا فتشاوروا وليصل بالناس صهيب

وكانت وفاته يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجه سنة ٢٣ هـ ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة ٢٤ هـ وكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وعشرين يوما وكان له من العمر ثلاثة وستون سنة.

عثمان بن عفان

يخطيء الذين يقيسون بطولة الافراد وعظمتهم النفسيه بما يتم لهم فى مدة قبضهم علي زمام الامور ويهملون ما كان لشخصيتهم من الأثر الفعال فى القومية والحالة الاجتماعية .

فقد تكون الصفات الممتازة التي تقدم العظيم على سواه من رجال عصره تظهر فيه وتتجلى من سلسله مجهوداته و أعماله فاذا سحر الناس به وملات نفوسهم وملكت قلوبهم واستولت على حواسهم مظاهر عظمته فانتخبوه أميراً عليهم أو خليفة لهم فلم يسقهم الى هذا الانتخاب والاختيار الا عقيدتهم الراسخة وايمانهم الثابت ونظرهم الثاقب . فاذا ما جاء هذا البطل المجمع عليه من الشعب الى منصة الرياسة واختلفت الظروف عليه وفوجيء بفتن الدساسين وأشكل عليه الامر وحلكت الحوادث فى جو العمل ثم هى لم تمهله ليفتح له نفقاً فى الارض او سلماً في السماء حتي عاجلته المنيه فيغمط حقه ويسقط ذكره من بين عظماء التاريخ ورجاله

هذه كلمة نسوقها قبل البدء في تحليل نفسية عثمان بن عفان فقد أوشك المطلع عل الحالة فى خلافته أن يعده فى مقام من التاريخ لايتناسب مع عظمته وبطولته وان كانت هذه العظمة لم تكن بارزة ولا واضحة في تدبيره دفة الامور حين ولي الخلافة :

اسمه ومولده

وصناعته واسلامه

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب القرشي الاموى

ولد فى السنة السادسة من الفيل وكان عثمان بزازاً وكان غنياً كريماً حسن الشيم محبوبا فى قومه مأمونا عندهم ، سيرته فى أفواه الكبار والصغار، وكانت المرأة من العرب ترقص صبيها وهى تقول

أحبك والرحمن حب قريش لعثمان

وهذه منزلة في النفوس لم يبلغها عثمان الا بشهامته وقوة نفسه وعظمته الشخصية

أسلم عثمان حين دعاه أبو بكر للاسلام فكان قوة من القوى التي قام عليها صرح الدين لان فطرة عثمان السليمة وروحه المتقدة اخلاصاً وقلبه المملوء عطفاً وحنانا قابل الدعوة الي الاسلام بسهولة وبساطة ولم تكن الدعوة للاسلام الى دعوة خالصة لعبادة الله وحده ومفارقة الاوثان وعبادة الاشخاص . فكان عثمان ممن قام بالدعوة للاسلام وتمهيد السبيل لنشر كلمة التوحيد بتلك السرعة التى لم يذكرها التاريخ لاي دعوة أخري . فقد حدثنا تاريخ الانقلابات الاجتماعية أن الدعوة للجديد تسير ببطء للمناهضة التي تلقاها من معاندة المحافظين علي القديم

اما الاسلام ففطرة الله التي فطر الناس عليها اشرب بقلوبهم وامتزج بنفوسهم بسهولة الا من ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة العناد فأصروا علي الكفر واستكبروا استكباراً

صحبته

كان عثمان في صحبته محبوبا من رسول الله ﷺ عزيزا عليه فحباه من كرامة المصاهرة ببنتيه تقديرا لحسن بلائه فى الاسلام فزوجه بعد اسلامه برقية ثم توفيت في السنة الثانيه من الهجرة فزوجه بأم كلثوم . ولما توفيت قال له رسول الله ﷺ لو أن لنا ثالثه لزوجناك . ولم يكن هذا الاختيار من الرسول الامين الا لمكانة عثمان وحزمه وبطولته .

تغالى عثمان في طاعة رسول الله وتحمل المشاق في سبيل الدين ماينوء بحمله اولو القوة . فهو الذى هاجر الي الحبشه ببنت رسول الله حين لقى من قريش الاضطهاد ووجد فى ذلك عصمة واستمساكا بعروة الاسلام

وقد سجل له تاريخ الفتوحات الاسلامية بذله العظيم فى سبيل الله ورسوله وقد يقف الحد عن حصر مابذله فى هذا السبيل وأن في تجهيزه الف بعير فى غزوة تبوك لجيش العسرة لواحدة من تلك الاعمال الجسيمة التى كان خير قدوة فيها لغيره

وعثمان بن عفان هو الذى ابتاع بئر رومه وجعلها للمسلمين يستقون منها . بعد ان كانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها

وقد كان حكيما فى انتزاعه هذا البئر من صاحبه فقد اشترى منه نصفه اولا وأتفق علي ان كلا منهما له يوم ودفع في النصف ١٢ الف درهم

فكان المسلمون يستقون في يوم عثمان . ورأي اليهودي ان هذا افسد عليه الامر فباع النصف الآخر بثمانية الف درهم لعثمان

وزاد عثمان فى مسجد رسول الله زيادة وسعت من نطاقه . كل هذا قليل من كثير وبمثل عثمان فى المسلمين تقوم الدعوة الصالحة وتؤسس القومية وتنظم النظم الاجتماعية

عبرة وذكرى

فلو ان الاغنياء من المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ينفقون في سبيل جمع الامم الاسلامية بجامعة التوحيد وجامعة العلم وانفقوا في تأسيس المدارس والجامعات وربط الاموال علي الوعاظ والمرشدين ونشر المؤلفات الموقظة للشعور والمنيرة للسبيل ونشرها فى جميع البلاد الاسلامية على العامة والخاصة لما وجدتها بعد بضع سنين الا امة اسلامية عظمى حدودها بين المحيطين وفيها نور العلم يرشد الي السبيل العملي لعزة الجانب وعظمة الحياة التى أمرنا الله ان تكون خلفاءه في الارض وحذرنا من الاستكانة والضعف والاستسلام فقال تعالي (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) اى لاتهلكوا انفسكم بالكسل والرقاد والتسليم للغاصبين والمستعمرين فأن فى هذا الضعف والتسليم ابادتكم وهلاكم وهدم كيانكم الاجتماعى والسياسى . فأذا انهدم كيانكم الاجتماعى والسياسى عجزتم عن التمسك بدينكم وانهزمتم امام دعاة الشر والطغيان ووجد الفاتحون بين صفوفكم مسلكا يملكون به بلادكم ويذلون الاعز فيكم

ألا أيها المسلمون ان عثمان بن عفان ضرب لكم فى العهد الاول المثل الاعلي فقوموا بواجبكم واكثروا من المدارس وشجعوا الداعين لاتحاد المسلمين وجمع كلمتهم فأن ذلك هو الفوز العظيم

الخلافة والدين

لم تكن الخلافة في الدين وراثية بل كانت بالانتخاب ومشورة أولى الرأى من المسلمين . ولذلك حين قدم عمر الى ابي بكر رضى الله عنه وبايعه علي الخلافة أقبل المسلمون يبايعون دليل رضاهم وموافقتهم علي خلافته .

ولما وصى أبو بكر لعمر بالخلافة بايع قريش عمر وكاشفه فريق كاهل الشام بانهم يخشون شدته ويرون عزله ان كان مراً . ثم أنه قام فيهم بالامر فأحبوه وكان عدله وحكمه أية في جبين الزمان .

والامة فى هذه الحال أشبه بالجمهورية اذ كل يري حق له ابداء الرأي فى انتخاب أمير المؤمنين .

وكان ينقص جماعة المسلمين في هذا النوع من الحكم وضع دستور للانتخابات كما تقوم اليوم في سائر الامم الدستورية .

ولكن اتساع الملك ودخول الامم الكثيره تحت لواء الاسلام واستمرارهم على الجهاد مدة الخليفتين ركن بهم الي الراحة اعتماداً علي ما بلغته الدولة من القوة وشاهق المجد .

ولم يكن للدين دخل فى الخلافة الا أنه جعل الامر بينهم شوري

وترك للقابضين على زمام الحكم تنظيم هذه الشورى حسب مقتضيات الاحوال والزمان .

والشارع أباح الاجتهاد في المعاملات دون العبادات لان المعاملات تتعلق بمصلحة المسلمين حسب ظروفهم الاجتماعية ونهضات الشعوب السياسية

والدين الذي وعد المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكينهم من الملك لم يمنع مفكريهم ومصلحيهم من الاخذ بالقواعد الكفيلة بهذا الاستخلاف وتمكين الملك . وهذا لا دخل له فى العبادات لان العبادات قطعية.

أما نظام الملك فلا يقوم الاعلى النظم السياسية والاجتماعية والطبيعية والدين يامر بكل ذلك . اذ فى درس الطبيعيات استثمار الاراضي بالزراعة واستخراج المعادن ما بطن منها وما ظهر . وفى ذلك درس لما يتعلق بالانسان في أدوار الرقي والتطور .

فالخلافة من بادىء الامر خلافة دينية من حيث رقابة المسلمين وتمكينهم من القيام باعباء عباداتهم . ودنيوية من حيث تنظيم الملك وسياسته .

خلافة عثمان

مات عمر رضى الله عنه ولم تكن هناك قاعدة للشوري بين المسلمين فيمن يتولي الخلافة وقد ترك عمر الشوري لهم بين ست من الصحابة بينهم عثمان بن عفان وظن في ذلك حصر الشوري فى دائرة تمنع الفتن والخلاف في الرأى .

ولكن ما ظنه لا يحصل قد حصل فكل جماعة رأوا في واحد من الذين أوصى باختيار الخليفة منهم كفاءته بالخلافة وكلهم رغبها لنفسه . وعمر رضي الله عنه لما عهد للستة أمرهم بالاجتماع قريباً منه ليتشاوروا فيما بينهم فاجتمعوا وتناجوا ثم ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر سبحان الله ان أمير المؤمنين لم يمت بعد

فانتبه عمر وقال ألا أعرضوا عن هذا أجمعون فاذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام وليصل بالناس صهيب ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ثم ذكر الستة وقال لا أظن أنه يلى الامر الا أحد هذين الرجلين علي وعثمان فان ولى عثمان فرجل فيه لين وان ولى علي ففيه دعابة واحر أن يحملهم على طريق الحق

فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدى علي وعثمان أيهما يصلى عليه فقال عبد الرحمن كلاكما يحب الامرة لستما من هذا في شيء هذا الي صهيب استخلفه عمر يصلي بالناس ثلاثاً . حتى يجتمع الناس على امام فصلى صهيب .

فلما دفن أمير المؤمنين اجتمع أهل الشوري وتنافس القوم فى الامر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة . أنا كنت لان تدافعوها أخوف مني لان تتنافسوها .

فقال عبد الرحمن أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم فلم يجبه أحد فقال أنا أنخلع منها . فقال عثمان أنا أول من رضى فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أمين فى الارض أمين في السماء) فقال القوم قد رضينا . وعلي ساكت . ثم سئل ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال لعثمان أعطني موثقاً (لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوي ولا تخص ذا رحم ولا تألو الامة) .

فقال أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معى علي من يرتد وغير وأن ترضوا من اخترت ولكم علي ميثاق أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلوا المسلمين . فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله .

ثم قام عبد الرحمن بن عوف فى أخذ الاراء كلما وجد قوما ، وفي اليوم الثالث من وفاة عمر رضي الله عنه اجتمع الصحابة فى المسجد حتى ازدحم بهم وتناوب الخطباء الخطب فرشح بعضهم عثمانا ورشح آخرون علياً ورشح بعضهم آخرين ولكن البيعة انتهت لعثمان وصار أمير المؤمنين .

أعماله فى خلافته

(الكوفة) استفتح سيدنا عثمان فى بدء خلافته باستعمال سعد بن ابي وقاص عليها عملا بوصية عمر رضى الله عنه ثم عزله لخلاف وقع بينه وبين ابن مسعود الذي كان علي الخراج . وولى بعده الوليد الاموي ثم فتح (موقان) و(الطيلسان) وصالح (اذربيجان) وسار الكوفيون لفتح (طبرستان) و (البصرة) كان واليها ابو موسى الاشعري فعزله عثمان وولى عبدالله بن عامر الذي تمرد عليه بعدئذ أهل فارس واضطر لاخماد الفتنة وصالح اهلها

(الشام) كانت ولاية الشام فى اول خلافته رضى الله عنه في يد معاوية ابن ابي سفيان الذى قام بغزوات بريه وبحرية حتى بلغ عمورية وفتح جزيرة قبرص وجعلها مركزا حربيا للمسلمين في البحر الابيض وفتح كذلك كريد و(مصر) كان عمرو بن العاص واليا عليها فجعله عثمان علي الجند وولي عبدالله بن سعد خراجها فلم يتفقا فعزل عثمان ابن العاص وأمر عبدالله علي الجند والخراج وسيره الى فتح بلاد المغرب ففتح فيها ماشاء الله ان يفتح وقتل ملكها (جرجير)

(ارمينيا والقوقاز) فتح في عهد عثمان بلاد ارمينيا والقوقاز مرة ثانية اذ كانت المرة الاولى في عهد عمر . وكان القائد في هذه الحرب حبيب ابن مسلمة الفهري فحاصر ارمينيا من اطرافها وفتح كرجستان وتفليس ثم سارت الجيوش الاسلامية الى القوقاز ففتحتها وصارت البلاد الي اليوم بلادا اسلامية

وكان فى هذه الحرب لنساء المسلمين فضل الاشتراك مع رجالهن وأبلين بلاء حسنا . حتي ان أم عبدالله الكلبية امرأة حبيب قالت له ليلة الفتح أين موعدك ؟

فقال سرادق الطاغية (يعني أموريان) قائد جيش العدو فلما انتهى الى السرادق وجدها عنده .

جمع المصحف

من أعظم آثار عثمان رضى الله عنه في خلافته جمعه الناس علي مصحف واحد بعد أن تعددت القرآت واختلف فيها أهل الامصار .

جمع عثمان الصحابة وأقام فيهم حذيفة بما رأى من الخلاف فى القراءات فاعظم ذلك الصحابة وقرروا تلافي الامر قبل استفحاله فأرسل عثمان الى حفصة بنت عمر أن أرسلى الينا بالصحف ننسخها وكانت هذه الصحف كتبت في عهد أبي بكر رضى الله عنه ثم أمر عثمان زيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان اذا اختلفتم فاكتبوها بلسان قريش فلما نسخوا المصحف ردها عثمان الي حفصة وأرسل الى كل افق بمصحف وحرق ما سوي ذلك

دور الضيافة والقضاء

ومن مآثر عثمان اقامة دور الضيافات فى الكوفه وترتيبه الطعام فى شهر رمضان لاهل المدينة واتخاذه داراً للقضاء بين الناس . وكان الخليفتان قبل ذلك يجلسان للقضاء في المسجد

سياسته وعدله

كان عمر رضي الله عنه مع شدته مغرقا في العدل فكان القوم يحبونه مع الخوف أما عثمان فكان لين الجانب رؤوف القلب كثير الاحسان الي الرعية . وكان هذا الاحسان والاغراق في العطف وخيم العاقبة رغم ان القوم كان قد أدبهم الرسول وانتقلوا من خشونة البداوة الى سماحة الاسلام .

فان حلم عثمان ولينه وما تم للمسلمين من سعة السلطان ان صح النظر الى العواقب . واذا كان عهدهم بالملك عن طفرة واحدة ترى أن المجال كان فسيحاً لمرعى الفتنة . واذا علمت أن عثمان بدل الولاة فتألبت بذلك بعض الولايات . وأغرق عثمان فى اللين والمحاسنة فانكشف ضعفه عن سياسة الملك

ويأخذ المؤرخ على عثمان في سياسته أمرين (الاول) اطلاقه سراح المهاجرين من المدينة وقد كان عمر يمنعهم من الخروج وقد كان من جراء ذلك اثارة الدعاية ضده بما تنف عنده الحكمة عاجزة عن علاج نتائجه وملافاة خطره

(الثاني) استبداله العمال بمن هو أضعف فكان ذلك فتح باب يكيد به الاقوام للعمال عليهم . فكلما حكم عامل بالانصاف ولم يرض حكمه بعض نفر رفعوا مظلمتهم الى عثمان ليعزله

وكان من أشد الولاة يقظة واسدهم سياسة عمرو بن العاص فما

زال به أهل مصر حتي عزله عثمان .

هذه سياسته فى خلافته نترك للقاريء اصدار حكمه عليها ، أما عدله فكان عادلا لا يبخس احدا شيئا وكان يتفقد الرعية ويرد المظالم ومن حوادث عدله انه اشتري من رجل ارضاً فأبطأ عليه فقال للرجل مامنعك من قبض مالك ؟ فقال انك غبنتنى فما القي من الناس أحداً الي ويلومني قال أذلك يمنعك ؟ قال نعم ، قال فاختر بين أرضك ومالك . ثم قال قال رسول الله ﷺ (ادخل الله الجنة لا كان سهلا مشتريا او بائعا وقاضيا ومقتضيا)

وقد استمرت خلافته ست سنين . نقم الناس عليه شيئا وأنه لاحب الي قريش من سيدنا عمر بن الخطاب . لانه لان لهم ووصلهم ثم توانى في أمر بعضهم

أثر سياسته

« فى الحكومة وتمهيد اسباب الفتنة »

لما أحس القوم من عثمان رضي الله عنه اللين فشي المنكر فى الامصار . فأراد علاج الامر فاستعمل عليها أقرباؤه وأهل بيته في الست الاواخر من عهد خلافته ففتح بذلك باب القالة وانحرف الناس عن باب الخلافة

وقد داخل العرب التيه والعجب بما فازوا من الظفر على الامم الاخري وما كان لهم من الفتوحات فكانوا يرون لهم الفخر والتفضيل علي سواهم ثم وافق ذلك تنازل عثمان لمروان بن الحكم عن خمس مغانم افريقيا فتقموا على عثمان ذلك .

واستلان جانب الخليفة اعداء الاسلام فأسلم عبدالله بن سبأ في أول خلافة عثمان وهو يهودي من صنعاء أسلم ليكيد للخليفة ويحدث الفتن فى القري والامصار فطاف الحجاز والشام والعراق ومصر وأظهر الامر بالمعروف وهو ينفر الناس من عثمان ويبذر بذور الكراهية فى النفوس

خرج معه جماعة من مصر من اهل خربتا وقدم المدينة فكان أول وفد قدم الى عثمان يحاسبه علي أعمال عماله الاموبين بالامصار .

دارت رحى الفتنة في المدينة و كثر اللغط فى امراء الامصار فأرسل عثمان الي عماله ان يوافوا الموسم فقدموا عليه فاستشارهم في تسكين هذه الفتنة فقال عبدالله بن عامر اشغلهم بالجهاد وقال ابن سعد استصلحهم بالمال وقال معاوية اجعل كفايتهم لامرائهم وأنا أكفيك الشام . وقال عمرو ارى انك قد لنت ورضيت عليهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأري ان تلزم طريق صاحبيك فتشتد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين

فقال عثمان رضى الله عنه قد سمعت كل ما أشرتم به ولكل أمر باب يؤتي منه ان هذا الامر الذي يخاف منه على هذه الامة كائن وان بابه الذي يغلق عليه ليفتحن فنكفكفه باللين الا في حدود الله فأن فتح فلا يكونن لاحد علي حجة وقد علم الله اني لم آل الناس خيرا وان رحى الفتنة دائرة فطوبي لعثمان ان مات ولم يحركها . سكنوا الناس . . وهبوا لهم حقوقهم فأذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا . . ثم نفر ونفر الامراء الي بلادهم .

خرج الامراء من لدن عثمان ومعه معاوية الذي قال له أخرج معى الي الشام فأنهم علي الطاعة قبل ان يهجم عليك مالا قبل لك به فقال

عثمان لاابيع جوار رسول الله ﷺ بشيء ولو كان فيه خبط عنقي قال فأن بعثت اليك جندا منهم يقيم معك لنائبة ان نابت ؟ فأبي عثمان وقال لاأضيق علي جيران رسول الله .

فقال معاوية والله لتغتالن ولتغزين ! فقال حسبي الله ونعم الوكيل

ظهور الفتنة

لما رجع الامراء كتب بعض الثائرين من أهل المدينة الي الثائرين في الامصار بالقدوم عليهم . وقد كان كل فريق يري أن يولي الخلافة صاحباً له فمنهم من رغب طلحة ومنهم من رغب علياً ومنهم من رغب سواهما وكل يظن أنه على بصيرة من أمره والحقيقة أن ليس في القوم داهية اذ لو فرض أن عثمان أصبح غير أهل للخلافة .. أليس الاحري أن يجمع الامر حسب الشريعة فيمن يتولى بعده ثم يعلن خلعه . ؟؟

ولكن القوم غايتهم واحدة في خلعه وأغراضهم شتي فيمن يخلفه وقد كان المرشحون للخلافة أنقى سريرة وأشد تمسكا بالحزم فقد طرد على الذين فاوضوه في الخلافة وكذلك فعل طلحة والزبير فيمن جاءهما من الثائرين . فخرج الثائرون الي أمصارهم بعد أن يئسوا من علي وطلحة والزبير

ولكن أهل المدينة ما لبثوا أن شعروا بتكبير في نواحيها وقد عاد الثوار وهجموا على عثمان وأحاطوا به وغدا عليهم على وقال ما شأنكم وما ردكم بعد ذهابكم ؟؟

قالوا أخذنا كتابا مع بزيد لقتلنا .. وقال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير مثل ذلك

فقال على كيف علمتم بما لقى أهل مصر وكلكم علي مراحل من صاحبه حتي رجعتم علينا جميعاً ؟؟ هذا أمر دبر بليل . ثم سأل عثمانا فى ذلك فقال والله ما كتبته ولا أمرت به

ولكن الثوار قالوا اما أنه صادق أو كاذب فأن كان كاذبا استحق الخلع لما أمر به من قتلنا وان كان صادقا فقد استحق الخلع لضعفه عن هذا الامر الذي يقطع دونه .

سبب الفتنة وعواملها الداخلية والخارجية

لم تكن عوامل الفتنة من الدعوة ضد عثمان في الامصار لولاية أصهاره وذوي قرباه فحسب . بل كانت بطانة عثمان من بني أمية تستغل كبر سنه وضعف رأيه ولم تلن جانبها الى الثوار ولم تبتعد عن الشر المخيم في الافق رغم تلبد غيومه ووضوحها فكلما جاء علي عثمان ينصحه بتطهير بطانته وخلع مروان منها ترضية للساخطين جاء مروان ومسح مقالة علي

فكان اكبر الشرر لهذه الفتة من بطانة عثمان وكان عثمان بين عدو خارجي وعدو داخلي . حتى أن عثمان قال لمروان كلم القوم وبلغهم أني استغفر الله مما فعلت وأتوب اليه فمثلي نزع وتاب فاذا أنزلت فليأتني أشرافكم فليروا في رأيهم فوالله لئن ردني الحق عبداً لاستنن بسنة العبد ولاذلن ذل العبد

ولكن مروان أغلظ للقوم وقال لهم « اجئتم لنزع ملكنا من أيدينا والله لئن رمتمونا ليمرن عليكم أمر لا يسركم ولا تحمدوا غب رأيكم ارجعوا الي منازلكم فانا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا »

ولما علم ذلك على غضب وقام الى عثمان وقال له أما رضيت من مروان ورضى منك ألا يتحرفنك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الظعينة يقاد حيث يشاء ربه والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا فى نفسه وأيم الله أني لاراه يوردك ولا يصدرك وما أنا عائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك اذهبت شرفك وغلبت على رأيك .

ثم دخلت عليه امرأته وقد سمعت قول على فعذلته فى طاعة مروان

قتل عثمان بيد الثوار

لم تفد نصائح على ولا مساعيه بين عثمان والثوار وأخيراً لزم قعر داره . ومنع الثوار الناس عن مخالطة عثمان ومكالمته وقصدوا باب داره وحصروه فقاتلهم جمع من أولاد الصحابة فامر عثمان بالكف عن القتال .

ثم جاءه الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فأبي ومنع سل السيوف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظاً للالفة التي بها حفظ الكلمة . مع أن الثوار منعوا عنه الطعام والشراب مدة الحصر . فكان عثمان بذلك يهتم لامر المسلمين ولو في ذلك هلاكه .

ثم أحرق الثوار الباب ودخلوا عليه وهو يقرأ القرآن فلم يشغله ما رأى عن تلاوته . ثم قال أن رسول الله ﷺ قد عهد الى عهداً فانا صابر عليه ولم يحرقوا الباب الا وهم يريدون أعظم منه وأمرهم بالانصراف

ثم دخل عليه رضي الله عنه السفكة الاشقياء فقتلوا هذه النفس الزكية ولم يخشوا الله في ذي النورين فقد وطئو أضلاعه بعد موته والقوا التراب على جسده بعد سحبه .

قتل عثمان ضحية الفتن الخارجية والداخلية وقد كان لقتله ثورة من المطالبين بدمه أزهقت من أجلها الارواح الطاهرة وشاب لهولها الولدان

***

والحق يقال انه لم يقصر على بن أبي طالب فى دفع الاذي عن عثمان مع تيقنه من مصير الخلافة اليه بعده فأنه لم يأله نصحاً ولم يضن عليه بمد يد المعونة له والذب عنه

وقد كتب عثمان لعلي عند أستفحال الخطب (أما بعد فقد بلغ السيل الزبي وجاوز الحزام الطبيين وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره وزعموا انهم لا يرضون دون دمى وطمع في من لايدفع عن نفسه وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال أكل السبع خير من افتراس الثعلب فاقبل على أولى فأن كنت مأكولا فكن أنت آكلى والا فأدركنى ولما أمزق

وقد عمل على جهده في منع الكارثة ولكنها وقعت

خاتمـــــــة

قتل عثمان بيد الاثمة الاشرار ولم يؤخذ عليه رضى الله عنه الا ضعف رأيه وكبر سنه وسهولة أخلاقه ولين طبعه ولو أنه أوتي بجانب ذلك شدة عمر لكان كعمر وقد كان له من الخلال ما تزدان به الصحف اذا ذكر العظماء والابطال لان الاخلاق الشخصية لها أثرها فى أعمال العظماء واليك قليل من كثير عن الخليفة عثمان بن عفان

أدبه وتأديبه

قال عثمان لابن عيينة يوماً . ما تغنيت ولا تمنيت ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا اسلام ولا مسست فرجى بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ .وفى هذا القول تناه فى الادب والاحترام مع رسول الله الذي بايعه بيده ايمني .

ولم يكن هذا بعجيب من عثمان الذي جاء لعبد من عبيده فقال له أني كنت عركت أذنك فاقتص مني . ثم أخذ العبد أذنه فقال له عثمان اشدد ياحبذا قصاص في الدنيا لا قصاص في الآخرة

وقد جلد في عهده رجل من ثقيف في الشراب وكان لذلك الرجل مكانة من عثمان في خلوته فلما جلد أراد ذلك المجلس فمنعه إياه وقال لا نعود الي مجلسك أبداً الا ومعنا ثالث .

وكان عثمان كثير التقوى والقنوت كثير الصلاة كثير تلاوة القرآن شديد الولع به والاستظهار له . وقد قال فى ذلك رضى الله عنه (لو أن قلوبنا طهرت ما شبعنا من كلام ربنا) .

كتبه وخطبه

ولعثمان من الكتب والخطب ما يضيق عنه الحصر وقد كتب مرة الي بعض عماله (ان الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته وقال سبحانه « لو أنفقت مافى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » وهو مفرقها على معصيته ولا تعجلوا على أحد بحد قبل استجابة فان الله تعالى قال « لست عليهم بمسيطر الا من تولي وكفر » من كفر داويناه بدوائه ومن تولي عن الجماعة انصفناه وأعطيناه حتي يقطع حجته وعذره ان شاء الله)

وقال فى كتاب آخر «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض . »

الحالة الاجتماعية في عهده

استكمل المسلمون الفتح فى عهد عثمان ودال للعرب ملك فارس فصارت اليهم سياسة الممالك فساروا فى الناس مسلك الحق والعدل وازدهى أمر الدولة وزاد المال والرخاء وامتد رواق العمران وانصرف المحاربون بعد الفتوحات الي التجارة فراجت وتصاعدت أثمان العقار والمنقولات لكثرة النقد فبيعت جارية بوزنها ذهباً وفرس بمائة الف درهم ونخلة بالف درهم . وتوفرت أسباب الكسب ونمو الثروة الاهلية بين الطبقات .

وبينما العرب فى هذا الرخاء يتمتعون بما أفاء الله عليهم من تراث الامم ويتسنمون ذورة الحضارة ويسيرون فى عمارة الدوله سيرة من

يرفع لاخلافه بنيان المجد والدنيا مقبلة عليهم ء اذ صاح بهم صائح الفتنة فاستوقفهم عن سيرهم وقذف بهم الى التنافر والتخاصم فانقسموا أحزابا متفرقة وشيعا متباينة .

فكان عصر عثمان في أوله عصر رخاء وفي آخر عصره شدة ومحن اندلعت بعدها لهب الانقسامات السياسية والدينية وحول مجري الامور عن وجهها الاصليه

وهكذا الامم تسعى إلى هلاكها واضمحلالها بتنافر أفرادها وتعدد أحزابها وانقسام كلمة ذوي الرأى فيها .

علي بن أبي طالب

حاله في الجاهلية

مولده ونسبه

هو علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي القرشي ابن عم رسول الله ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وهو أول خليفة ابواه هاشميان .

ولد رضى الله عنه في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد رسول الله صلي الله عليه وسلم .

لم يصب علي بن طالب بشرك الجاهلية ولم يكن الاملهما التوفيق من يومه فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعلى دون البلوغ وكان معه في منزله فاقتبس من هديه وسلك سبيله فلم يعبد وثنا قط .

حاله في الاسلام

عرف على رضي الله عنه بالشجاعة والبسالة بين قومه فكان مهذبا محترما جمع الى شجاعة الجنان والتفوق فى ضرب السنان الى بلاغة المنطق وطلاقة اللسان فكان خطيبا مصقعا وحكيما يملك ناصية الحكمة وبذلك كان علما من أعلام الاسلام وركنا ركينا للدوله الاسلامية .

شهد الغزوات كلها مع رسول الله ﷺ الا غزوة (تبوك) فأنه استخلفه النبي على المدينة . وقد اسف لذلك علي لانه يري في الجهاد فضلا لاينال القاعد وهداية من الله يطمع فيها مثل على سمعا لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ولكن الرسول الامين خفف عن علي حزنه لتخلفه عن الجهاد وقال له (اما ترضي ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى) ؟ ؟

كان علي مقداما في الحروب فارسا فى الهيجاء تهابه الفرسان وتفر من وجهه الشجعان ثبت فى جميع الغزوات بقدم البطولة وكان اول المبارزين يوم بدر وأول الثابتين يوم أحد وحنين أصابه فيه ستة عشر ضربة . وأول الفاتحين يوم خيبر وأول السابقين يوم الفتح .

هذه منزلته فى الحروب أما منزلته من العلم والفضل فحدث عنها ولا حرج وتلك آثاره باقية أبد الدهر تنطق بعلمه وفضله

اقامته بمكة بعد الهجرة

أنابه عنه ﷺ في الاقامة بعد هجرته بمكة أياما أدى فيها الامانات والودائع وقام بالوصايا فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم والقوم قد تآمروا على قتله افتداه بنفسه ونام على فراشه والمشركون يظنون أنهم يحاصرون النبي ﷺ حتى أصبحوا ووجدو عليا . ثم أنابه أيضا فى قراءة أول التوبة فى موسم الحج ايذانا ببراءة رسوله من المشركين

شخصيته ونفسيه

كان لعلي رضى الله عنه شخصية كبيرة بين الصحابة ومهابة فى النفوس لا تزاحمها مهابة ولم تكن لهذه الشخصية خطرها بين القوم الا لما امتاز به رضى الله عنه من صفات الحكمة والشجاعة والزهد والورع والعلم والحكمة . فكان أخطب العرب وأفصحهم لسانا بعد رسول الله وكان اكترهم اقداما على الموت اذا اشتد وطيس الحرب متواضعاً سخياً متقشفاً له فى الحلم والصفح صدر واسع ومروءة لا تحد . يزينه عقل راجح ونظر ثاقب وتدبير حكيم ولين عريكة فكان بذلك مهابا محبوبا وقد أجمع المؤرخون على ان ابن ابي طالب لولا تقاه وصراحته وزهده لكان أدهى العرب

ولكنه رضى الله عنه كان لا يبطن غير ما يظهر ولا يظهر غير ما يبطن فكان مثالا صادقا للامانة والصراحة ومثلا أعلى في الحكمة ومكارم الاخلاق

كان يري فى نفسه الكفاءة لتولي أمر المؤمنين بعد الرسول الامين ولكنه صبر عليها ولو أرادها لكانت له ولكن أيثاره المصلحة العامة وجمع الكلمة دفعه الي الصبر عنها حتى جاء عمر وبعده عثمان فلم يكن الا معيناً لهما وناصراً لحكمهما مدبراً معهما الامور فى غير أنانية أو اثره . وهو يحس أنه أولى بها منه . أو أنه كفء لها كلهم كانوا ذوى كفاية

فشخصية بارزة ونفسية مؤدبة كشخصية علي ونفسيته لم يذكرها

التاريخ لاحد . ولو أن هذه الصورة العالية من الاباء والشمم والطهر والاثرة تكررت في تاريخ الدول لما قامت الحروب الداخلية وبقيت للامم الاسلامية قوتها وسطوتها . ولكن ذهب على بن أبي طالب . وذهبت معه تلك الخلال العظيمه والشيم التي تزين الابطال وهى لازمة من لوازم العظماء لتدبير الشئون وسياسة الشعوب

وان ذكر التاريخ لجماعة الشيعة تغاليهم فى تعظيم على كرم الله وجهه وذهابهم الى أن الرسالة كانت له فليس في ذلك الا ما يقيم الدليل على أن علياً كان بعظمته وبطولته ساحراً للالباب جذابا للنفوس مؤثراً في الرعية .

فكانما افرغ في كل قلب فهو محبوب الي كل نفس ظهر من حجاب العظمة بمعاليه فاستولى الاضطراب علي الاذهان والمدارك وذهب الناس فيه مذاهب خرجت بهم عن حدود العقل والشريعة

أهل الذمة تحبه والفلاسفة تعظمه وملوك الروم تصوره في بيوتها وبيعها ورؤساء الجيوش تكتب اسمه علي سيوفها كانما هو فأل الخير وآية النصر والظفر .

خلافة علي

ظل المسلمون حيارى بعد قتل أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) لا يجدون لهم ملجأ ولم يكن أمامهم من يصلح للخلافة الا على فذهب وفد من أكابر الصحابة يعرضها عليه فامتنع عن قبولها وبقى (الخافقى ابن حرب) اميراً علي المدينة خمسة أيام وعلى لا يقبل البيعة .

وأتي الكوفيون الزبير والبصريون طلحة فامتنعا عن قبولها أيضاً وأهل الامصار رأوا أن رجوعهم الى الامصار بغير امام يوقع الخلف والفساد فبقوا حياري في حلكة من الامر يلتمسون نوراً ينقذهم والمسلمين من فتنة عمياء اشتد لهيبها واستعر أوارها .

فاجتمع كثير من المهاجرين والانصار وأتوا علياً يبايعونه فأبي وعلم أنه مستقبل فتنة ثائرة لا مرد لها وقال لهم (التمسوا غيري) ثم قال لهم (أكون وزيراً لكم خير من أن أكون أميراً ومن اخترتم رضيته فانا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول) .

فناشدوه الله والدين والحوا عليه وقالوا لا نعلم أحق منك ولا نختار غيرك (فأبي) فخوفوه الله في مراقبة الاسلام وأمر المسلمين حتي غلبوه (فقال أجبتكم)

ورأى المهاجرون والانصار أن البيعة لا تتم الا بطلحة والزبير لانهما رشحا للخلافة وفى مبايعتهما لعلي اعترافاً منهما له بتنازلهما عنها فذهب جماعة اليهما واتوا بهما فبايعاه وقيل انهما اشترطا عليه اقامة الحدود اول شرط ، ثم قام القوم فبايعوه وتخلف عن البيعة جمع كبير من اكابر الصحابة في المدينة كسعد بن ابي وقاص وسعيد ابن زيد وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وأبي سعيد الخدري وحسان بن ثابت وغيرهم .

الا ان الامام رأى ان بيعته قد تمت بالاغلبية فقام وخطب الناس ودعاهم الي الخير وحذرهم الشر

لم تقف الفتنة التى اثارها المغرضون من اعداء الاسلام عند حد بعد قتل امير المؤمنين عثمان بن عفان بل اتسع الخرق وانقسم المسلمون انقساما مراً تطاير شرره الي النفوس فاضطربت الاحوال .

هرب مروان وبنوا امية ولحقوا بالشام ومعهم قميص عثمان واصابع زوجته فأثاروا الشعور وهيجوا الافكار ونصبوه على منبر دمشق وقامت الناس تطلب القصاص من قتلة عثمان . وطار الخبر لمكة واتصل بام المؤمنين عائشة رضى الله عنها

اصبحت الامة مضطربة مختلفة المقاصد معاوية يرى ان البيعة لم تنعقد والامام يري انعقادها . وطلحة والزبير يرفضانها لانهما اشترطا اقامة الحد علي قتلة عثمان والامام يقول لا قدرة لى على شيء مما تريدون حتي تهدأ الفتنة وتنظر الامور وتؤخذ الحقوق . وعائشة ام المؤمنين منادية في الناس بدم عثمان لانها متحققة انه قتل مظلوما في البلد الذي يأمن فيه الطير فى الشهر الحرام .

واكثر الصحابة يرون ان اول واجب على المسلمين تتبع القتلة والقصاص منهم اقامة لحد الله الذي لا يصح تأخيره مهما نتج بعد ذلك وجعلوا اقامة هذا الحد فى عنق كل مسلم .

ويذهب الثائرون الى ان علياً أهمل القصاص وانحرف عن الحق فى قتلة عثمان .

والمطلع علي هذه الفتنة الشعواء يري ان من مصائب الامام على ان تقوم في وجهه هذه المصاعب وقد ابي ان يقبل الخلافة هلعاً من هول هذا الموقف ولكنه اضطر اليه اضطراراً ولا مناص من الخروج منه

اعماله في خلافته

بدأ بتغيير عمال الامصار ولم ير رأي القائلين باستبقائهم حتي يستقر الامر لانه رأي فيهم انهم داعية الفرقة وسبب الشتات فبعث على البصرة عثمان بن حنيف الانصاري بدل عبدالله بن عامر وعلى الكوفة عمارة بن شهاب بدل ابي موسي الاشعري . وعلى اليمن عبيدالله بن سعد وعلى مصر قيس بن سعد وكذلك الشام أرسل من يتولى أمرها غير معاوية

فأما صاحب البصرة واليمن فتسلما زمام الامر واقاما . وافترقت مصر علي اميرها ففرقة دخلت الجماعة وفرقة اعتزلت وقالت لانكون مع علي الا ان قتل قتلة عثمان

وأهل الكوفة قالوا لانريد بأميرنا بدلا فردوا عمارة بن شهاب وفعل كذلك أهل الشام وامتنع معاوية اميرهم عن مبايعة علي لانه ظن فيه هوادة فى نصرة عثمان على قاتليه ولم ير فى الامتناع عن مبايعته خروجا على الامام لعدم انعقاد البيعة لتخلف كثير من اكابر الصحابة عنها

وقد اراد معاوية اعلان عدم مبايعته فأرسل رجلا الي الامام وليس فيه شيء من الكتابه وعنوانه (من معاوية الي على بن ابي طالب) وأمره اذا قدم المدينة رفعه ففعل الرجل ولما فضه على لم يجد فيه كتابا فقال للرسول ماوراءك فقال تركت قوما لايرضون الا بالقود قال ممن ؟ قال منك . وتركت ستين الف شيخ يبكون تحت قميص عثمان منصوبا على منبر دمشق فقال اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان . وقد نجا والله قتلة عثمان الا ان يشاء الله .

فداحة الخطب

﴿والحروب الداخلية﴾

استقر رأي طلحة والزبير وأم المؤمنين علي قصد البصرة لاستصراخ اهلها يطلبون القصاص من قتلة عثمان فصمم صاحب البصرة اولا على منعها وأراد ان يعلم هل احد في البصرة يمالىء طلحة والزبير وحين ذاك دس اليه من قال بذلك وان في البصرة انصارا لهذا الامر فخرج بمن معه واقبلت ام المؤمنين فخطبت الناس فتبعها جمع من اصحاب عثمان وخرج لها حكيم بن جبلة من فرسان البصرة وقاتلهم حتى اذا ذاقو حر السلاح نادوا بالصلح حتى ينظر في الامر .

ثم امتد شرر الفتنة الي الكوفة فاستولي عليها الثائرون وقاتلهم حكيم حتي قتل كثيرا منهم ثم أقامت ام المؤمنين ومن معها بالبصرة .

كل هذا والامام بالمدينة يعبي فى جيشه الي الشام . فكان الخطب من الجسامة بحيث يصعب معه الاستقرار علي رأي فكثر الجدال فمن محرض على الخروج مع ام المؤمنين ليؤدب العصاة والثائرين ومن مثبط حتي قام القعقاع ابن عمرو فقال أيها الناس لا بد من أمارة تنظم الناس وتنزع المظالم وتعز المظلوم وهو يدعوكم لتنظروا فيما بينه وبين صاحبه وهو المأمون علي الامة القضية في الدين فمن نهض اليه فانا سائرون معه)

ثم قال الحسن بن علي مثل هذا القول وان طلحة والزبير بايعا الامام ثم غدرا فتحمس الناس لهذا القول وخرج تسعة آلاف تحت لواء علي ومناصرته

الصلح بين المتخاصمين

لم تكن الخصومة بين جماعتى المسلمين خصومة لمال أو لخلافة وانما كانت خصومة لله كل يرى أن الآخر قصر فى حد من حدود الله فاصحاب عثمان يرون أن عليا أهمل القصاص وعلي يرى أنهم خرجوا عليه بعد مبايعة الاغلبية من الصحابة . ولكن مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم يلجأ الي الحرب الداخلية بل فكر وقدر . ثم نظر وبصر ورأي أن الصلح واجب علي المسلمين فانتدب القعقاع لذلك وأرسله ليكون بينه وبين طلحة والزبير فكان نعم السفير الحكيم .

بدأ القعقاع مسألته بأم المؤمنين وقال أي أمة ! ما أقدمك الي هذه البلدة ؟ فقالت أى بني الاصلاح بين الناس .. قال فابعثي الي طلحة والزبير حتي تسمعى كلامى وكلامهما ، فبعثت اليهما وحضرا ...

فقال القعقاع — اني سألت أم المؤمنين ما أقدمها فقالت الاصلاح فهل أنتما متابعان ؟ قالا نعم . .

قال فاخبراني ما وجه هذا الاصلاح ؟ ؟

قالا قتلة عثمان . فان هذا الامر ان ترك كان تركا للقرآن

قال قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتما قبل قتلهم أقرب الى الاستقامة منكم اليوم . قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم . . . وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون ... وان قاتلتوهم والذين اعتزلوكم ... فالذي

حذرتم وقويتم به هـذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون . . . وهذا أمر دواؤه التسكين فان أنتم بايعتمونا فعلامـة خير وتباشير رحمة . وان أبيتم فعلامة شر

قالوا . أصبت وأحسنت فان رجع علي وهو علي مثل رأيك صلح الامر

فرجع إلي على وأخبره الخبر وأشرف القوم على الصلح وأقبلت الوفود من كل جهة وأصبح الـكل متفقين على الصلح .

أصبح الناس والتقى الجيشان خارج البصره وخرج الزبير على فرسه بين الجيشين فخرج اليه علي حتي اختلف أعناق دوابهما فقال على للزبير لعمرى لقد أعددتما سلاحاً ورجالا . . ان كنتما أعددتما عند الله عـذراً فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انـكاثا . ألم أكن أخاكما فى دينـكما تحرمان دمى وأحرم دمكما ! فهل من حدث أحل ذلك ؟

فقال طلحة البت الناس على عثمان . . ! فلعن على قتلة عثمان ثم ذكر الزبير بأشياء منها أنه قال له (أتذكر يوم مررت مع رسول الله في بني غنم فنظر الى فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله ﷺ ليس بمزه لتقاتلنه وانت ظالم) .

فرجع الزبير وهو حالف أن لا يقاتل عليا وشعر بخطأ خطته ورأى أن الرجوع أولي . ثم رجع الناس والجميع لا يشكون في الصلح وباتوا بأهنأ ليلة.

غدر الدخلاء

تحقق أصحاب ابن سبأ مشعل الفتنة وموقعها أن الصلح واقع لا محالة وهو يعود عليهم بالوبال لانه ان تم كان لقتلهم فباتوا شر ليلة باتوا يتشاورون

فلم يجدوا غبر انتشاب الحرب فلما كان الغلس قاموا غير أن يشعر بهم أحد وقصد مضرهم مضر البصرة وربيعتهم ربيع البصرة ويمنهم يمن البصرة واعملوا السلاح ودسوا لكل طرف من يعلن الخبر فثار كل قوم في وجوه أصحابهم وسأل طلحة والزبير عن الخبر فقيل لهما طرقنا أهل الكوفة ليلا وسأل على فقيل له ما شعرنا إلا وقوم يعملون فينا السلاح فقال انهما غير منتهيين حتي يسفكا الدماء ونادى فى الناس أن كفوا واخرجوا أم المؤمنين في هودجها لعل الله يصلح بها الحال . ولكن الحرب استعرت وترك ابن الزبير القوم ورجع فتبعه ابن جرموز وقتله وهو يصلي بوادي السباع .

ثم انتهت المعركة وظهرت آثار الكدر علي أمير المؤمنين من هذا الحادث الذي لم يكن فيه لاحد مأرب ثم دفنت القتلي وطاف عليهم على فلما أتي طلحة قال لهفى عليك أبا محمد انا لله وانا اليه راجعون والله لقد كنت اكره أن أري قريش صرعى .

ثم سيرت أم المؤمنين الي مكة ورجع على الي الكوفة واتخذها مقر خلافته وارسل يدعو معاوية للدخول فيما دخل الناس فيه فامتنع حتى يقتل قتلة عثمان ويختار المسلمون لانفسهم اماما .

بين الامام ومعاوية

سار الامام لمحاربة أهل الشام وسار اليه معاوية والتقي الجيشان في صفين وتبادلا سفراء الصلح ولكنه لم يتم فتناوشا وقتا ثم دخل محرم سنة ٣٧ فعقدا هدنة مدتها شهر رغبة فى الصلح وتبودلت الرسل وانتهت المخابرات بتمسك علي بالبيعة له وتمسك معاوية بقتلة عثمان أولا ثم النظر في البيعة

ونبذ كل طرف عهد هدنته وابتدأ القتال واستمر أياما ثم رأي علي أن يهجم بكل جيشه ثم التقي الجيشان واقترقا كل غير غالب . ثم عاد الحرب فراى معاوية وعمرو بن العاص أن السآمة والملل ظهرت علي رجالهم فقال عمرو ندعوهم لكتاب الله أن يكون حكما بيننا وبينهم فرفعوا المصاحف علي أسنه الرماح ونادي مناد يقول هذا كتاب الله بيننا وبينكم من لثغور الشام بعد أهل الشام من لثغور العراق بعد أهل العراق .

فلما رآها اصحاب علي اختلفوا ثم اتفقوا على إرسال رسول يسأل عما اريد من رفع المصاحف . فقالوا الرجوع الي امر الله فى كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ليعملان بما فى كتاب الله ثم نتبع ما اتفقا عليه . ورضيت الناس بهذا وانتهى الاختيار على عمرو بن العاص عن اهل الشام وابي موسي الاشعري عن اهل العراق . وكتبوا بذلك عهداً وان يجتمع الحكمان بدومة الجندل فى رمضان .

انصرف الناس ورجع على الى الكوفة وانقضى الاجل وحل رمضان واجتمع الحكمان واتفقا علي ان يخلع كل صاحبه - وخدع عمرو ابا موسى فقدمه وقال ايها الناس اني خلعت صاحبي - وقام عمرو بدوره وثبت صاحبه ، فلم يتم الصلح بهذا الغدر .

لم تزدد الحالة الا سوءا فانقسم جيش على واضطربت فيه الافكار فمن مشايع ومن معارض . ومن خوارج تظهر غير ما تبطن . اما معاوية فبويع بالشام على الخلافة وارسل عمرو الى مصر واستقر له الامر هناك ونظم جنده وحكومته .

وقد سئم علي ابن طالب الحرب ومل الامارة وكانه استشعر خاصة

للراحة من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصي بضمه الى اخوانه من الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وقد صرح بذلك فى خطبه الاخيرة

قتل الامام على

والمؤامرة على منافسيه

اجتمع ثلاثة من الخوارج وتذاكروا ما حصل باخوانهم من الخوارج وكرهوا المقام بعدهم فاتفقوا على أن يذهب أحدهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي إلى الكوفة ليقتل علياً ويذهب الثاني وهو البرك بن عبد الله التميمى إلي الشام فيقتل معاوية ويذهب ثالثهم وهو عمر بن بكر التميمى الى مصر فيقتل عمرو بن العاص .

واتعدوا على ليلة ينفذون فيها ما اتفقوا عليه وهى صبح ليلة الجمعة لسبع عشرة خلون من رمضان فاما البرك فذهب الي معاوية وانتظره فى صلاة الصبح فضربه بالسيف فوقع فى اليته ولم يمته فأمر به معاوية فقتل

وأما عمرو بن بكر فذهب الي عمرو بن العاص فلم يخرج الي الصلاة لعذر أصابه واستناب خارجه بن حبيب السهمى فضربه الخارجى فقتله ظنا منه أنه عمرو وقبض عليه وقتل وضرب به المثل (أراد عمراً واراد الله خارجة)

وقصد عبد الرحمن بن ملجم الكوفة وانتظر علياً فبينما امير المؤمنين ينادى الصلاة الصلاة الصلاة إذ ضربه بسيفه قائلا (الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك) فقال على (النفس بالنفس) ان هلكت فاقتلوه

وان بقيت رايت فيه رايي)

وصيته عند الوفاة

ثم دخل جندب فقال ان فقدناك ولا نفقدك نبايع الحسن ؟ فقال ما آمركم ولا انهاكم انتم ابصر ثم دعا الحسن والحسين فقال لهما اوصيكما بتقوي الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شيء ازوا عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الضائع واصنعا للاخري وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصراً واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم . نظر الى محمد الاكبر بن الحنفية فقال له هل حفظت ما اوصيت به اخويك؟ قال نعم قال فاني اوصيك بمثله ثم لم يزل يذكر الله حتى مات غسله ولداه الحسن والحسين وابن اخيه عبد الله بن جعفر وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص

تم الجزء الاول في سيرة الخلفاء الراشدين ويليه الجزء الثاني
وفيه أشهر القواد وأولهم خالد بن الوليد

فهرست

الجزء الاول

من كتات أبطال الاسلام في الحرب والسياسة

صفحة

٣ صورة المؤلف
٥ مقدمة الطبعة الثانية
٨ « « الاولى
١١ حالة العالم الانسانى قبل ظهور الاسلام
١٤ المبادىء الاجتماعية الخطيرة التي قامت عليها الدول الاسلامية
١٧ ابو بكر الصديق — حالته في الجاهلية
١٨ اسلامه وصحبته
٢٠ خلافة ابي بكر
٢٢ اثر خطبته في سياسة حكومته
٢٤ محاربة اهل الردة
٢٥ الفتح الاسلامي
٢٧ فتوحات ابى بكر
٢٨ سياسته في الخلافة والرعية
٣٠ مرض ابي بكر — استخلافة عمر
٣٣ وفاة ابى بكر — تأبينه بعد وفاته

صفحة

٣٥ نظام الخلافة في عهده
٣٦ خاتمة فى تاريخ ابى بكر
(عمر بن الخطاب)
٣٧ حاله في الجاهلية
٣٨ اسلامه وصحبته
٤٠ اعلان الدعوة للاسلام
٤٢ خلافة عمر
٤٣ اعماله في خلافته
٤٥ وصية عمر لسعد بن ابى وقاص
٤٧ اجلاء اهل نجران
٤٩ فتح مصر والرقة
٥١ آثاره في الخلافة
٥٥ سياسته وعدله
٥٩ مقتل عمر
(عثمان بن عفان)
٦٠ تمهيد لتاريخه
٦١ اسمه و ولده و صناعته واسلامه

صفحة

٦٢ صحبته
٦٤ الخلافة والدين
٦٦ خلافة عثمان
٦٨ اعماله في خلافته
٧٠ سياسته وعدله
٧١ اسباب الفتنة
٧٣ ظهور الفتنة
٧٥ قتل عثمان بيد الثوار
٧٧ خاتمة في تاريخه
(على بن ابى طالب)

صفحة

٨٠ حالته في الجاهلية والاسلام
٨٢ شخصيته ونفسيته
٨٣ خلافة علي
٨٦ اعماله فى خلافته
٨٧ فداحة الخطب
٨٨ الصلح بين المتخاصمين
٩٠ بين الامام ومعاوية
٩٢ قتل الامام على
٩٣ وصيته عند الوفاة

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074498054

2274.718.311